ذكر هارون الرشيد

هو هارون بن محمد المهدي يكنى ابا محمد وقيل ابا جعفر ولقبه الرشيد لدين
الله **بويع** يوم الجمعة بمدينة السلام صبيحة الليلة التي مات فيها
اخوه موسى الهادي وهو ابن احدى وعشرين سنة وشهرين وكان مسجونا هو
ويحيى بن خالد فبعثت امه الخيزران اليهما فاخرجتهما وقالت ليحيى
احضر الناس الساعة فحضر القواد والهاشميون والمشايخ فاخذ يحيى عليهم
البيعة لهارون الرشيد وكتب من ليلته لجميع عمال النواحي عن الرشيد
بوفاة موسى ويامرهم بالبيعة له ويقرهم على اعمالهم فما اصبح حتى
فرغ من جميع الامور وانفذ الكتب على البريد من غد وسلم على هارون
بالخلافة وبشر في تلك الساعة ان مراجل ولدت غلاما فسماه عبد الله وهو
المامون وحضر يومئذ فايدته خمسة بعضهم عم الرشيد وجعفر
بن موسى وسليمان بن ابي جعفر وعبد الصمد بن علي عم العباس بن محمد
بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم اجمعين وكان هارون طويلا
ابيض كامل الجمال اسود الشعر ظريف الجملة والتفصيل **نقش خاتمه**
اشهدت بالله وقيل العظمة لله وخاتمه الاصغر كن من الله على حذر
وكان سمحا جوادا حسن الاخلاق شجاعا قريبا من الاخوان محبا للندماء وسماع
العيدان واستجلاب القيان وهو اول خليفة هتك الستارة وكان مع ذلك راجعا
الى دين متين وهو القائل في ذلك

ولله مني جانب لا اضيعه … وللهو مني والخلاعة جانب

وكان مدمنا للجهاد والحج حج ثماني حجج وقيل تسعا مشى في احدهما
راجلا الى مكة وغزا ثمان غزوات وذلك انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقال له ان هذا الامر صائر اليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسع على
اهل الحرمين ففعل ذلك كله وخرج في اول سنة ولي فغزا اطراف بلاد الروم
وانصرف وحج بالناس في اخر السنة وفرق بمكة والمدينة مالا عظيما

وام

وامر بحفر الابار في الطرق وبناء المساجد وعقد القناطر للمسافرين وامر بتشييد
الثغور والمدن كالمصيصة وطرطوس وغيرهما ولما حج سنة من السنين

وطرسوس

سمع بصدق الفضيل بن عياض التميمي اليربوعي وانه من الطبقة الثانية من
التابعين من اهل مكة يكنى ابا علي مولده بخراسان وقدم الكوفة وهو
كبير فسمع بها الحديث من منصور بن المعتمر ثم انتقل الى مكة فاقام
يعبد الله الى ان مات وكان ثقة امينا عابدا ورعا قيل انه كان يقول ولدت
بسمرقند ورايت فيها الجوز يباع عشرة الاف جوزة بدرهم وكان
في حداثته شاطرا يقطع الطريق وكان يختم القران كل ليلة اسند عن
الثوري والاعمش وعطاء فقال الرشيد لابن المبارك اردت زيارة الفضيل فقال له
يا امير المؤمنين ان الفضيل ان عرف مكانك لم ياذن لك في الدخول عليه
ويفر عنك فقال له الرشيد تستاذن انت عليه وتخفي مكاني منه حتى ياذن
بالدخول فاقبل معه الى منزل الفضيل فاستاذن عليه ابن المبارك فقال الفضيل من
بالباب فقال ابن المبارك ومن معي يدخل فقال الفضيل ومن معك قال رجل من
قريش قال لا اذن لاحد من قريش ولا لي حاجة برؤية احد منهم فقال له
ابن المبارك انه من اهل العلم والفقه والعناية بهما فقال له الفضيل اما علمت
ان ابليس افقه الناس ولكن ان كان كما تقول فليدخل فدخل هارون فسلم عليه
وجلس بين يديه مقدار ساعة فقال ابن المبارك يا ابا الحسن اتدري من هذا
قال لا ادري الا اني ارى وجها حسنا وبدنا ناعما قال هذا هارون الرشيد
امير المؤمنين فنظر اليه الفضيل ساعة ثم قال يا هارون هذا الوجه الجميل
يسال غدا عن امة محمد ويؤخذ بهم اجمعين ان لم يكن العفو والغفران
فجعل الفضيل يعظه ويخوفه ويحذره فبكى هارون الرشيد ثم افاق
من بكائه فجعل الفضيل يذكر مثالبه ومثالب اهل بيته وسوء سيرتهم في الرعية
ثم ظهر له انه ينتقصه بهذا فاخذ يعتذر له ويقول له يا امير المؤمنين
اغفر لي ما مضى مني فقال له الرشيد فمن جعلك احوان ترجو المغفرة منه
وانا على دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات ووالله ما كنت لاخير

بين الله وبين نفسي من امور العباد انما اخترت الله على من سواه والله شاهد على قولي
والمطلع على نيتي وضميري وكفى بالله شهيدا وانا مع هذا الى من اصلاح بين
الناس والجهاد في سبيل الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتامين السبل واقامة
الحج والشرائع والسنن وسد الثغور مما لا تليه انت فما جعلك الله باحوج من ان ترجوا
المغفرة مني فسكت الفضيل ساعة ثم قال لي ما طمعك من حاجتي ثم قال له
يا امير المومنين اني لاخشى ان يكون العلم قد ضاع قبلكم كما ضاع عندنا
فقال هارون احمل ما قلت وفهم عنه ما اراد ثم دعا له وانصرف فلما قدم
هارون العراق كان اول ما ابتدا بالنظر فيما ذكر له به الفضيل من امر العلم فكتب
الى عماله على الامصار كلها والى امراء الكور وهو يقول فانظروا من التزم
الاذان عندكم وواظب المساجد فاكتبوه في الف درهم من العطا ومن جمع
القران قبلكم فاكتبوه في الف دينار من العطا ومن جمع القران واقبل على طلب
العلم وواظب عليه فاكتبوه في الفي دينار من العطا ومن التزم القران والعلم
ورواية الحديث فاكتبوه في ثلاثة الاف دينار من العطا وليكن ذلك بامتحان
الرجال الثقا بغير لها الامر المعي وفيه من علماء عصركم وفضلاء دهركم
فاسمعوا قولهم واطيعوا امرهم فان الله تعالى يقول اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم وهم اهل العلم فما رئي عالما ولا قارئا للقران
ولا سابقا للخيرات ولا حافظا للحرمات في ايام واخر بعد ايام الرسول عليه السلام
والصحابة رضي الله عنهم اكثر منهم في زمن الرشيد ولقد كان الغلام يجمع
القران وهو ابن ثمان سنين ولقد كان يستبحر في العلوم ويروي الحديث الكثير ويجمع
الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احد عشر سنة لم يبلغ الحلم في ذلك العصر
وحجت في هذه الحجة زوجه زبيدة معه كانت كثيرة الصدقة والصلاة
من افضل النساء فرقت بالمدينة ماية الف دينار وبمكة كذلك واعتقت ماية
رقبة بعرفات وماية رقبة بمنا وتصدقت بعشرة الاف راس من الغنم وكانت
مكة قليلة الماء فجلبت اليها الماء وحفرت جروة من عين المشاش وساقته
الى مكة في لقنية الرصاص مسافة ستة عشر ميلا وانفقت فيه اموالا عظيمة

قدرها

قدرها ماية الف الف دينار فكان الوكلاء الذين يتولون النظر في حفر هذا الجدول اذا
وصلوا الى موضع لا تعمل فيه المعاول لصعوبته كتبوا اليها الخبر فوقع بذلك
فيرد اليهم في الجواب اعطوا لمن يقطع الحطب وتضعوه في الموضع الصلب
وصبوا عليه النفط واضرموا النار حتى ينهال وبدات الصوم من اليوم الذي ابتدات
فيه بالعمل ونذرت انها لا تفطر حتى يتم لها النهر ويجري الماء منه في وسط
مكة فكان كذلك فلم تزل صايمة تلك المدة فاقاموا يحفرون فيها ثلاث
سنين فلما اتاها الخبر بتمام ما املت وان الماء قد جرى في مكة اعتقت الف رقبة
وتصدقت بماية الف دينار وحجت راجلة مع الرشيد شكرا لله تعالى فعمل
الرشيد في تلك الحجة من باب بغداد حيطا من كتان ستة اميال عن يمين المسار
الى مكة وكذلك عن يساره وسقفه كتان وفرشه باللبود والقطف وعند
راس ثلاثة اميال خيمة وفساطيط ومستراح وعند اخر الستة اميال دار وحمام
وكوشة فكان يمشي بين الروافات هو وجواره ثلاثة اميال فاذا بلغ الاخبية
جلس للغداء والراحة والقايلة ويقوم الى اخر الستة اميال وجنده يمشي خارج
الروافات يمينا وشمالا بعيدا بنحو الميل فاذا نزل في داره عند راس الستة اميال
بات واقام من غد حتى يحملوا الروافات وينصبوها قدامه فكان يمشي يوما
ويقيم يوما الى ان بلغ الحج فتصدقت بمكة واعتقت واكست جميع
اهل مكة رجالا ونساء واطفالا وكذلك فعلت في المدينة وكانت نفقتهم
في الحج في مونتهم اربعة وخمسون الف الف دينار وفرقت الف الف دينار فرفع
اليها وكيلها حساب ذلك فنبذته وقالت ثواب الله بغير حساب
هذه زبيدة ورثت من ابيها ضياعا غلتها ماية الف دينار في السنة ثم اقطعها
الرشيد ضياعا اخر فاشترت حتى بلغت ضياعها الف الف دينار وثمانماية
الف دينار قال الغلابي حدثنا مهدي قال قال اعرابي من بني تميم ما رايت الكماة
في سنة من السنين اكثر منها في السنة التي حجت فيها عامة السبل فقيل له من هي
قال ام جعفر **وقال الاصمعي** حججت مع هارون الرشيد سنة من السنين
فرايت امراة اعرابية جميلة وهي واقفة على جماعة من اهل خراسان

كانوا ياكلون وفي يدها قصعة فارغة فاقبلت عليهم وانشدت تقول

لقد لحقتنا جوايح الاعوام ورمتنا تصرف الايام
فاتيناكم على كبادنا لفضلات زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا ايها الزايرون بيت الحرام
من راني فقد راني وقدري فارحموا حاجتي وذل مقامي

قال فرجعت الى الرشيد فاخبرته فبكى وقال اطلب المراة واتني بها فاتيت بها وقلت لها هذا امير المومنين فقالت حياك الله وما يريد مني قلت يريد منك ان تنشديه الابيات التي قلتها فقبل فانشدته اياها فالتفت الى مسرور الخادم فقال يا مسرور املا لها القصعة دنانير فملا لها دنانير حتى فاضت من جوانبها **وقال الاصمعي** دخلت على الرشيد فعطس فشمته فلما خرجت لحقني مسرور الخادم فقال لي ان عدت الى مثلها قطعت منك شبرا فلما عدت اليه اخبرته بقول مسرور فقال يا اصمعي اخذت انت بالسنة وامرني مسرور بالادب ومجلسنا لا يصلح فيه الا الادب وقال الاصمعي ما رايت احضر جوابا من زيد بن دخل على هارون الرشيد فسايله فلم يقر فامر ان يضرب بالسياط فقال له يا امير المومنين في اي كتاب وجدت او عن اي نبي اتاك خذوهم بالتهمة فسايلوهم فان لم يقروا فاضربوهم قال فامسك عنه وامر بحبسه **وحكى الاصمعي** قال مررت ببعض احياء العرب وكنت اروي اشعارهم والطوف باخبارهم فخرجت من الحي فكاني لم ادخله من مانة الدهر الى بعض الاقارب فاستسقيت اهله فخرجت الي جارية وفي يدها قعب من لبن وفي الاخرى وعاء فيه ماء وقالت لي يا هذا هذا ماء وهذا لبن فبايهما شيت فابدا وان شيت الطعام فهو لك معي فعجبت من سخاها عند بخل قومها وهي منهم ثم شكوت اليها بخل قومها فقالت يا فتى اسمع مني ثم طفقت تقول

وخذ من الناس ما تيسر ودع من الناس ما تعسر
انما الناس كزجاج اذا لم ترفق به تكسر

قال

قال فانصرفت بالبيتين وهما عندي احب من مايتي دينار ثم رايت نشزا عاليا بيت منيف فقلت ما هذا البيت الذي ارى الا لكريم ولعلي اجده عالما فاعمته فلما دنوت منه واذا رجل قايم على الباب فلما راني ولج البيت فولجت في اثره فخرج من كسر البيت فخرجت في اثره فتبعته فنظر الي ثم وقف فبكى بكاء شديدا عاليا وانشا يقول

وقفت وقوف الشك ثم استمر بي ∴ يقيني بان الموت خير من الفقر
وقايلة تخشى علي من الردى ∴ ولا الموت خير من حياة على عسر
ساكسب مالا او اموت ببلدة ∴ يقل بها فيض الدموع على قبري

فقلت هذا كلام اديب وشعر لبيب فزدني من كلامك زادك الله من كل خير فانشا يقول

رزقت لبا ولم ارزق مروته • وما المروة الا كثرة المال
اذا اردت مساماة يقاعدني • عما ينوه باسمي رقة الحال

فقلت يا هذا اني جليس الخليفة لعلي ازرع عندك خيرا فزدني من كلامك وحسن نظامك فقال ∴

من يزرع الخير يحصد ما يسر به ∴ وزارع الشر منكوس على الراس
ان الاوايل كان يرجى فضلهم ∴ اضحوا وقد ذهبوا في حفر ارماس

قال فاخبرت بمقالته الرشيد فاعجب بها ودفع الي الف دينار وامرني بالرجوع قبل ان نجتمع باهلي وقال تدفعها الى الرجل وان لم تلقه فادفع المال الى اقرب الناس فاتيت الحي وقصدت البيت فاذا البيت قد قوض فسالت عنه فقيل انه دعي فاجاب فسالت عن اقرب الناس اليه فقيل لي صاحبة هذا البيت فاتيتها فاذا هي صاحبتي التي سقتني الماء فسالتها عن اخيها فقالت لي يا هناه كان والله يحمل المغارم ويبتني المكارم ويدفع العظايم اسلمه قومه للنوايب وتركوه للمصايب فهلك والله ضياعا ولم يخلف متاعا فقلت يا هذه ان معي الف دينار حباك بها امير المومنين فقالت وصل الله امير المومنين بالكرامة واجزل له الثواب في دار المقامة **ثم** قالت والله لنحن اكرم من ان نجتمع عندنا الف دينار نحاسبوا عليها

ونعذب بها ثم قالت لخادمها ايتيني بجائزتي فاتتها بخمسين عجوزا فقسمت
المال بينهم ولم تدخر منه الا الصاحبة واحدة منهم **اخبر الاصمعي**
قال وقعت حرب بالبادية واتصلت بالبصرة وتفاقم امرها حتى مشى الناس
في الصلح بين الحيين واجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وانا حينئذ غلام
الى القعقاع بن ضرار الدارمي فاستاذنت عليه فاذن لي فدخلت عليه فوجدته
يخلط بزرا لعنز له فخبرته بمجتمع القوم فامهل حتى اكلت العنز ثم غسل الصحفة
وصاح يا جاريه غدينا فاتته بتمر وزيت قال فدعاني لاكل منه فاكلت
حتى اذا قضى اربه من الطعام وثب الى طين ملقى في الدار فغسل يده ثم
استسقى ماء فشربه ومسح فاضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر
البصرة بزيت الشام متى نؤدي شكر هذه النعم ثم اخذ رداءه فارتدى به على
تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد
صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حلت له اعظاما ثم جلس فتحمل
جميع ما كان من الديات بين القوم من ماله ونهض وهو سيد الكافة بفعله
ودخل ابن السماك على الرشيد فقال له عظني واوجز فقال ما اعجب يا امير
المومنين ما نحن فيه كيف يغلب علينا حب الدنيا واعجب منه ما نصير اليه
وغفلتنا عنه عجب اصغر حقير الى فناء يصير غلب على كبير طويل
دايم غير زايل **وقال** ابو يوسف القاضي تغديت عند الرشيد فسقطت
من يدي لقمة فانتثر ما كان عليها من الطعام فقال لي يا يعقوب خذ لقمتك
فان المهدي حدثني عن ابيه المنصور عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي ابن
عبد الله عن ابيه عبد الله بن العباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اكل ما يسقط من الخوان فرزقه اولادا كانوا صباحا
واخبر الفضل بن الربيع قال حج امير المومنين هارون الرشيد فبينا انا ذات
ليلة نايم بمكة اذ سمعت صوت الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المومنين
فخرجت مسرعا اليه فلما دخلت عليه قال لي ويحك قد حاك في صدري شيء
فانظر لي رجلا اساله فقلت هاهنا سفيان بن عيينة قال امض بنا اليه فاتيناه

فقرعت الباب فقال من ذا فقلت اجب امير المومنين فخرج مسرعا فقال يا امير
المومنين لو ارسلت الي اتيتك فقال له خذ لما جئناك له رحمك الله فحدثه ساعة
ثم قال له الرشيد اعليك دين قال نعم قال يا فضل اقض عنه دينه فلما خرجنا
قال لي ما اغنى صاحبك عني شيئا قلت هاهنا عبد الرزاق بن همام قال امض
بنا اليه فاتيناه فقرعت الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المومنين فخرج مسرعا
فقال يا امير المومنين لو ارسلت الي اتيتك قال خذ لما اتيناك له رحمك الله فحادثه
ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم قال يا فضل اقض عنه دينه فلما خرجنا
قال لي ما اغنى عني صاحبك شيئا انظر لي رجلا اساله قلت هاهنا الفضيل
بن عياض قال امض بنا اليه فاتيناه فاذا هو قايم يصلي يتلو اية من القران
يرددها فقال اقرع الباب فقرعت الباب فاوجز في الصلاة وقال من هذا فقلت
اجب امير المومنين فقال وما لي ولامير المومنين فقلت سبحان الله اوما عليك طاعته
قال اوليس روي عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينبغي لمومن ان يذل نفسه
ثم نزل ففتح الباب ثم ارتقى الى غرفته واطفا السراج ثم التجا الى زاوية من زوايا
الغرفة فدخلنا فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف هارون قبلي فقال سبحان
الله من كف ما الينها ان نجت غدا من عذاب الله عز وجل فقلت في نفسي ليكلمنه
الليلة بكلام من قلب نقي فقال له الرشيد خذ لما جئناك له رحمك الله فقال
الفضيل ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة دعا سالم بن
عبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد
ابتليت بهذا البلاء فاشيروا علي رحمكم الله فقال له سالم ان اردت النجاة غدا
من عذاب الله فصم الدنيا وليكن افطارك منها الموت وقال له محمد
بن كعب القرظي ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فليكن كبير المسلمين
عندك ابا واوسطهم عندك اخا واصغرهم عندك ولدا فوقر اباك واكرم
اخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان اردت النجاة غدا من عذاب الله
فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت اذا شئت
واني لاقول لك هذا واني اخاف عليك اشد الخوف من يوم تزل فيه الاقدام

فهل معك رحمك الله مثل هذا او من يشير عليك بمثله قال فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت له ارفق بامير المومنين فقال يا ابن الربيع تقتله انت واصحابك وارفق به انا ثم افاق فقال له زدني رحمك الله فقال يا امير المومنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكي به اليه فكتب اليه عمر وهو يقول يا اخي اذكرك سهر اهل النار في النار مع خلود الابد فاياك ان ينصرف بك من عند الله فيكون اخر العهد ومنقطع الرجا فلما قرا العامل الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال له ما اقدمك فقال خلعت عهدي بكتابك لا اعود الى ولاية حتى القى الله قال فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له زدني رحمك الله فقال يا امير المومنين ان العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له امرني على امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عم ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت الا تكون اميرا فافعل قال فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له زدني رحمك الله فقال له يا حسن الوجه انت الذي يسالك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي قلبك غش لاحد من رعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ولي شيئا من امر المسلمين فاصبح وامسى لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له يا اخي اعليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم يلهمني حجتي فقال الرشيد انما اعني من دين العباد فقال ان ربي لم يامرني بهذا وانما امرني ان اصدق وعده واطيع امره قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له الرشيد هذه الف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا ادلك على النجاة وانت تكافيني بمثل هذا سلمك الله ووفقك الله ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا فلما صرنا على الباب قال لي الرشيد

يا فضل

يا فضل اذا دللتني فدلني على مثل هذا والله سيد المرسلين فدخلت عليه امراة فقالت له يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتوسعنا به فقال لها مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير ياكلون من كده فلما كبر نحروه واكلوا لحمه قال فلما سمع هارون هذا الكلام قال نرجع اليه فعسى ان يقبل المال فدخلنا عليه فلما علم الفضيل برجوعنا خرج فصعد الى السطح فجلس فجاء هارون فجلس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت لهارون يا هذا قد اذيت الشيخ في هذه الليلة انصرف رحمك الله فانصرفنا قال ابو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي ولى الرشيد محمد بن يحيى بن خالد ارمينية فكتب اليه اقوام صاروا اليه على سبيل النصح يذكرون رسوما للسلطان بارمينية قد عفت ودرست فيرجع منها في السنة على السلطان مال عظيم وانه توقف على المطالبة بها حتى يعرف رايه فكتب اليه قرات هذه الرقعة المذمومة وفهمتها وسوق العناية عندنا بحمد الله كاسدة والسنة السعاة في ايامنا كليلة فاذا قرات كتابي هذا فاحمل الناس على قانونك وخذهم بما في ديوانك فاني لم نر الناحية لتتبع الرسوم العافية ولا لاحياء الاعلام الداثرة وجنبني وتجنب بيت جرير وكنت

اذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

واجر امورك على ما يكسب الدعاء لنا لا الدعاء علينا واعلم انها مدة تنتهي **ولما** بويع هارون الرشيد واستتم له الامر اتخذ الى امكنة امرا وكتابا ووزرا فحسنوا دولته وزينوا مملكته وكان حاجبه الفضل بن الربيع وقاضيه الفقيه ابو يوسف صاحب ابي حنيفة فجلس مجلسا عاما وقال ليحيى بن خالد يا ابت انت اجلستني هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك واني قد قلدتك جميع اموري كلها وجعلت اليك النظر في كل اعمالي والزمتك امر الرعية فاستعمل من رايت واعزل من رايت وافعل ما رايت فانت الثقة عندي الامين في نفسي الذي لم اتهمك علي ولا على اهل بيتي ورعيتي فلم يبق احد ممن حضر الا قال مثل ما قال الرشيد وصدقوه في قوله وابروه غاية الابرار في ذلك **بقول**

السعاية

ابراهيم الموصلي

الم تر ان الشمس كانت سقيمة ⁂ فلما ولي هارون اشرق نورها
بيمن امير الله هارون في الندى ⁂ فهارون واليها ويحيى وزيرها

وكان الفضل بن يحيى ولد قبل مولد هارون بسبعة ايام فارضعت زبيدة بنت منير وهي ام الفضل بن يحيى ارضعت هارون الرشيد بلبان الفضل بن يحيى وارضعت الخيزران ام هارون الفضل بن يحيى بلبان هارون مرات كثيرة وفي ذلك يقول مروان بن ابي حفصة في قصيدة يمدح بها الفضل بن يحيى حيث يقول

كفاك لك فضلا ان افضل حرة ⁂ غذتك بثدي والخليفة واحد
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها ⁂ كما زان يحيى خالدا في المشاهد

وفي ذلك يقول ايضا سلم الخاسر رحمه الله تعالى هاذان البيتان

لا يضل الساري بغير دليل ⁂ وبنو برمك نجوم السماء
اصبح الفضل والخليفة هارون ⁂ رضيعي لبان خير النساء

وجلس يحيى للنظر فكان اول نظره في اهل السجون فوجد خلقا ممن حمل من ارض الحجاز وغير الحجاز من اهل الشرف وغيرهم فاطلقهم جميعا ووصل من كان معهم من آل ابي طالب وغيرهم من اهل الشرف وكتب في مظالم الناس الى جميع الافاق ولم يبق متظلم بالباب الا انصفه ولا راغب ولا طالب الا قضى حاجته ولا شاعر ولا خطيب الا وصله

الفضل بن الربيع فقد خضع ليحيى واستعطفه وساله ان يستعطفه وساله ان يستعطف له الرشيد ويرده الى خدمته فاستعطفه له فقال له الرشيد قد علمت ما بعثه لموسى على خلعي فقال لم يكن يجد بدا ولا كثير له من ذلك ولا يمكن لهم ان يخالفوا خليفة ولا يخرجوا عن طاعته ولم يزل به حتى رده الى الحجابة في سنة سبع وسبعين ومائة ثم صرف اليه النفقات والخزاين وما كان في يده وبيد ابيه ورفعت منزلته ومنزلة ولده فكان يحيى يقول ما رايت العقل قط الا خادما للجهل وغلب جعفر بن يحيى

يحيى

على امور

على امور الرشيد فولي الحرس وسجستان وصارت اليه الوزارة والخاتم ونفذت اموره في المشرق والمغرب وكان كاتبا بليغا فصيحا حسن الحفظ فصيح اللسان حاد البديهة **قال** وجلس يوما للمظالم فوقع على الف قصة فعرضت على الفقهاء فلم يجدوه اخطا في حكم واحد منها **قال** ورفعت اليه شكاية من عامل فكتب عليها بيس الزاد ليوم المعاد ظلم العباد وكان ينظر في الكاتب من بعيد وهو يكتب فيفهم ما يجري به قلمه وكذلك ابوه يحيى بن خالد وكان جعفر من علو القدر وعظم المنزلة وجلالة المحل عند الرشيد بحالة لم يشاركه فيها احد وكان جميلا وسيما معتدل القامة طويل العنق جميل الوجه حسن الاخلاق وجوده وعطاؤه اشهر من ان يحصى **وقال يحيى** بن خالد يوما لجماعة من بني هاشم ان ولدي بحيث ترون فصفوا لي اخلاقهم فقال له العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم اجمعين اما ابو الفضل جعفر فيرضينا بقوله ويرضينا بفعله واما ابو عبد الله محمد بن يحيى فيفعل بحسب ما يجد واما ابو عمران موسى بن يحيى فيفعل ما لا يجد **وقال عبد الملك** ابن صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس ما رايت اعلم بالناس من يحيى ابن خالد ولا اجود من الفضل بن يحيى ولا اكتب يدا ولا افصح لسانا من جعفر بن يحيى ولا افرس من موسى بن يحيى ولا اشد حياء من محمد بن يحيى ولا اشهم من محمد بن خالد **وكان يحيى** بن خالد يقول لاولاده لا بد لكم من كتاب وعمال واعوان فاستعينوا بالاشراف واياكم وسفلة الناس فان النعمة على الاشراف ابقى وهم بها احسن والمعروف عندهم اشهر والشكر منهم اوفر **قال** وجاء رجل الى يحيى بن خالد فشكا اليه ولده جعفر في حاجة مطله بها فوقع اليه يحيى يا بني انتم معاقل الاحرار ومكان المطالب ومعاذ الشكوى فكونوا سواء في الاسر وانجاز الافعال فان الحر يدخر الحر ويعتقده ويتكل عليه ويعتمده فاذا تكشف له عن خلاف امله كان ذلك سببا الى الزيادة في همه ووجدا له يبعث ما في صدره فلا يلومن احد في موعد لم يف به ولا يلوم

لا نفسه والسلام **واعتل** يحيى فقعد عنه صديق له وعلم انه قصر في عيادته ثم استحيا فامده به الجفا فامر يحيى ان يحملوه في محفة ثم اتاه فقال هأنا جئتك فان شئت فعدني وان شئت تاخر عني وفي يحيى يقول الخاسر

وفتى خلا من ماله ... ومن المروة غير خالي
واذا رأى لك موعدا ... كان الفعال مع المقال
لله در من فتى ... ما فيه من كرم الخصال
اعطاك قبل سؤاله ... فكفاك مكروه السؤال

وكان يحيى يميل الى الفضل والرشيد يميل الى جعفر وكان الرشيد كثيرا ما يقول ليحيى انت للفضل وانا لجعفر **خرج الفضل** بن يحيى يوما من منزله بالخلد يريد منزله بباب الشماسية فتلقاه فتى من الاعراب مملك ومعه جماعة من الناس يحملون املاكه فلما رآه الفتى نزل وقبل يده ولم يكن يعرفه فسأله عن الصداق فعرفه انه اربعة آلاف درهم فقال الفضل لقيمه اعطه اربعة آلاف درهم صداق زوجته واربعة آلاف درهم ثمن مسكن يسكنه واربعة آلاف درهم للنفقة على وليمته واربعة آلاف درهم يستعين بها على العقد الذي عقده على نفسه وانصرف **قيل** ركب محمد بن ابراهيم الامام دين فركب الى الفضل بن يحيى ومعه حق فيه جوهر فقال له قصرت بنا غلاتنا واغفل امرنا خليفتنا وتزايدت مؤونتنا فلزمنا دين احتجنا الى قضائه وهو الف الف درهم وكرهت بذل وجهي للتجار وذلة عرضي ولك من يعطيك منهم ما تحب ومعي حق فيه رهن في ذلك فان رأيت ان تأمر بعضهم بقبضه وحمله الينا فعلت فدعى الفضل بالحق فرأى ما فيه وختمه بخاتم محمد بن ابراهيم وقال له نجح الحاجة ان تقيم اليوم عندي فقال له ان في المقام علي مشقة فقال له وما يشق عليك من ذلك ان رأيت ان تلبس بعض ثيابنا دعوت به والا امرت باحضار ثياب من دارك فاقام ونهض الفضل فدعى بوكيله وامر بحمل المال وتسليمه الى خادم محمد بن ابراهيم وتسليم الحق الذي فيه الجوهر بخاتمه اليه واخذ بذلك خطه ففعل الوكيل ذلك واقام

محمد عنده الى المغرب وليس عنده شيء من الخبر ثم انصرف الى منزله فرأى المال واحضر المال الحق فغدا على الفضل ليشكره فوجده قد سبقه بالركوب الى دار الرشيد فوقف منتظرا له عند باب الرشيد فقيل له قد خرج من الباب الآخر فقصد الى منزله فانثنى عنه فلما انصرف الى منزله وجه اليه بالف الف درهم اخرى فغدا عليه فشكره واطال واعلمه الفضل انه بات بليلة طالت غما بما شكاه اليه فلقي الرشيد فاعلمه حاله وامر بالتقدم له ولم يزل يماسكه الى ان تقرر الامر معه على الف الف درهم وقال له انه لم يصلك بمثلها قط ولا زاد على عشرين الف دينار فشكرته وسألته ان يصك بها صكا بخطه ويجعلني الرسول ففعل فشكره محمد وقال صدق امير المؤمنين انه لم يصلني قط باكثر من عشرين الف دينار وهذا انما تهيأ بك وعلى يديك وما اقدر على القيام بحقك وعلى شكر ما جاز به معي وفيك عني ان علي وعلي وحلف ايمانا موكدة ان وقفت على باب احد سواك ابدا ولا سألت حاجة ابدا ولو استففت التراب فكان لا يركب الى غير الفضل الى ان كان من امرهم ما حدث فكان بعد ذلك لا يركب الى غير دار الرشيد ويعود الى منزله فعوتب بعد تقضي ايامهم في ترك اتيان الفضل بن الربيع فقال والله لو عمرت الف عام ومصصت الثماد ما وقفت على باب احد بعد الفضل بن يحيى ولا سألته حاجة ابدا حتى القى الله عز وجل ولم تزل تلك حاله الى ان مات **قيل** لما حج الرشيد ورجع فاوفى الانبار دعى صالحا صاحب المصلى حين تنكر للبرامكة فقال له اخرج الى منصور بن زياد فقل له قد صحت عليك عشرة آلاف الف فاحملها الي من يومك فان هو دفعها اليك كاملة قبل مغيب الشمس من يومك هذا والا فاحمل الي راسه واياك ومراجعتي في شيء من امره قال صالح فخرجت الى منصور وهو في الدار فعرفته الخبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي ثم حلف انه لا يملك ثلاثمائة الف درهم فكيف عشرة آلاف الف فقال له صالح خذ في عملك فقال له انهض بنا الى منزلي حتى اوصي واعتز في امري فمضى فما هو الا ان دخل حتى ارتفع الصراخ في منزله وفي حجر نسائه واوصى وخرج

وما فيه لحم ولا دم فقال امض بنا الى يحيى بن خالد فلعل الله ان ياتنا بفرج
من عنده فمضى معه فدخل على يحيى بن خالد وهو يبكي فقال له يحيى ما وراءك
فقص عليه القصة فقلق يحيى لامره واطرق مفكرا ثم دعا خازنه فقال كم
عندك من المال قال خمسماية ءالاف الف درهم فقال احضرنيه فاخذها فاحضره
اياها ثم وجه الى الفضل ولده وقال له انك كنت اعلمتني عن ارادتك حال الفي
الف درهم وددت انك تشتري بها ضيعة وقد وجدت لك ضيعة يبقى ذكرها
وشكرها وتحمد ثمرتها فوجه الينا بالمال فوجه به ثم قال للرسول امض
الى جعفر فقل له ابعث الي فداك ابوك بالف الف درهم لحق لزمني فوجه بها اليه
فقال لصالح هذه ثمانية ءالاف الف ثم اطال الاطراق لانه لم يكن بقي عنده
شيء ثم رفع راسه الى خادم له فقال له امض الى دنانير فقل لها وجهي الي بالعقد
الذي كان وهبه لك امير المومنين فجاء به فاذا عقد كعظم الذراع
فقال لصالح اشتريت هذا للرشيد بماية الف وعشرين الف دينار فوهبه لدنانير
وقد حسبناه بالفي الف درهم وهذا المال فانصرف وخل عن صاحبنا لا سبيل لك
عليه قال صالح فاخذت ذلك ورددت منصورا معي فلما صرنا بالباب
انشا يقول

فما بقي علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

ثم قال ما على الارض كلها رجل اكرم من رجل خرجنا من عنده ولا سمعت
بمثله فيمن مضى ولا يكون فيمن بقي ولا على وجه الارض رجل اخبث سريرة
ولا اردى طبعا من هذا النبطي اذ لم يشكر من احياه قال فسرنا الى الرشيد فقصصت
عليه قصة المال وطويت عنه ما قال منصور لاني خفت ان سمعه امر بقتله فقال
الرشيد اما قد علمت انه ان نجا لم ينج الا باهل هذا البيت وقال اقبض المال واردد
العقد الى دنانير لاني لم اكن لاهب هبة فترجع الي قال صالح فلم تطب نفسا
بترك تعريف يحيى ما قاله منصور فقلت لما رايته بعد ان اطنبت في شكره
ووصف ما كان لقد انعمت على غير شاكر قابل الكرام فعلي بالالم قال وكيف
ذلك فاخبرته بما قال فجعل والله يطلب له المعاذير ويقول يا ابا علي ان المخوف القلب

ربما سبقه لسانه بما ليس في ضميره وقد كان الرجل في حال عظيمة فقلت والله
ما ادري من اي امريك اعجب امن اوله ام من اخره ولكني اعلم ان الدهر لا يخلف مثلك
ابدا **ذكر عبيد الله بن منصور** قال كنت يوما في مجلس الفضل بن يحيى
فاتاه الحاجب فقال ان بالباب رجلا قد اكثر في طلب الاذن وزعم ان له يدا
يمت بها قال ادخله فدخل رجل جميل الوجه رث الهيئة فاحسن السلام فاوما اليه بالجلوس
فجلس فلما علم انه انطلق وامكنه الكلام قال له ما حاجتك قال قد اعربت عنها
رثاثة حالي وضعف طاقتي قال اجل فما الذي تمت به قال ولادة تقرب من ولادتك
وجوار يقرب من جوارك واسم مشتق من اسمك قال له الفضل اما الجوار فقد يمكن
ان يكون كما قلت وقد يوافق الاسم الاسم ولكن من اعلمك بالولادة قال اعلمتني
امي لانها لما وضعتني قيل لها انه قد ولد الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي
الفضل فسمتني الفضيل اعظاما لاسمك فتبسم وقال كم اتى عليك من السنين
قال خمس وثلاثون سنة قال صدقت هذا المقدار الذي اعرف لنفسي فما فعلت امك
قال توفيت رحمها الله قال فما منعك باللحوق بنا فيما مضى قال كانت نفسي
عامية وحداثة تقعدني عن لقاء الملوك قال يا غلام اعطه لكل عام مضى
من سنيه الفا واعطه من كسوتنا ومراكبنا ما يصلح له فلم يخرج من عنده
الا وقد طاب به اخوانه وخاصة اهله **وذكر المدائني** عن الواقدي انه قال
ضقت ضيقة شديدة وهجم شهر رمضان وانا بغير نفقة فضقت ذرعا لذلك
فكتبت الى صديق لي علوي اساله ان يقرضني الف درهم فبعث بها الي في
كيس مختوم فتركتها عندي فلما كان عشي ذلك اليوم وردت علي
رقعة صديق لي يسالني اسعافه في نفقة شهر رمضان بالف درهم فوجهت
بالكيس اليه بخاتمه فلما كان من الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني والعلوي
الذي اقترضت منه فسالني العلوي عن خبر الدراهم فقلت صرفتها في مهم لي فاخرج
الكيس بختمه ثم ضحك وقال اعلم انه قرب هذا الشهر وما عندي الا هذه
الدراهم فلما كتبت الي وجهت بها اليك وكتبت الى صديقي هذا
استقرض منه الف درهم فوجه الي بالكيس فسالته عن القصة [illegible]

وقد جئتك لنقتسمها والان ننفقها فاذن الله بالفرج **قال الواقدي** فقلت لهما
لست ادري ايهما اكرم قال فاقتسمناها ودخل شهر رمضان فانفقت اكثر مما حصل
عندي فبت افكر في امري فلما كان من الغد اذ بعث الي يحيى بن خالد في سحر لي
فسرت اليه فقال يا واقدي رايت البارحة في النوم وانت على حال دلتني انك في امر شديد
وحنيتك فاشرح لي امرك فشرحته الى ان بلغت الى حديث العلوي وصديقي والالف
درهم فقال ما ادري ايكما اكرم وامر لي بثلاثين الف درهم ولهما بعشرين الف درهم
وقلدني القضا **قال ابراهيم** الموصلي لما دخل الرشيد البصرة حاجا
كنت معه فقال لي جعفر بن يحيى قد وصفت لي جارية مغنية حسناء تباع وذكر
ان مولاها ممتنع من عرضها الا في داره وقد عزمت على ان اركب مختفيا فاعترضها
فتساعدني فقلت السمع والطاعة فلما كان نصف النهار حضر النخاس فاعلم
بحضوره فخرج جعفر بعمامة وطيلسان ونعل عربية فلبست مثل ذلك وركبنا
دابين قد استجابين وجه التجار وركب النخاس معنا وتخللنا الدروب فلم نزل حتى
اتينا دارا ذات باب شاهق يدل على نعمة قديمة فقرع النخاس الباب واذا شاب
حسن الوجه عليه قميص غليظ خشن ففتح لنا الباب وقال انزلوا يا سادة فدخلنا
واذا بدهليز شعث ودار نوراء خراب منقضة واذا في الدهليز بيت كالعامر فاخرج
لنا منه الرجل قطعة من حصير كبير خلق ففرشها لنا فجلسنا عليها فقال له
النخاس احضر الجارية فقد حضر المشتري فدخل البيت فاذا بجارية قد خرجت
في القميص الغليظ الذي كان على الفتى بعينه وهي فيه مع خشونته كانها في الحلي
والحلل بحسن وجهها وفي يدها عود فامرها جعفر بالغناء فجست وضربت ضربا
حسنا واندفعت تغني

ان يمس حبلك بعد طول تواصل ⁂ خلقا ونصبح بينكم مهجورا
فلقد اراني والجديد الى بلى ⁂ دهرا بوصلك راضيا مسرورا
جذلا بمالي عندكم لا ابتغي ⁂ يوما بوصلك خلة وعشيرا
كنت المنا واعز من وطئ الثرى ⁂ عندي وكنت بذاك منك جديرا

قال ثم غلبها البكاء حتى منعها من الغنا وسمعنا من البيت نحيب الفتى

وقامت الجارية تغني في قميصها حتى دخلت البيت فارتفعت لهما ضجة بالبكاء والشهيق
ثم خفتا حتى ظننا انهما قد ماتا وهممنا بالانصراف واذا الفتى قد خرج وعليه ذلك
القميص بعينه فقال ايها القوم اعذروني فيما اقوله وافعله فقال جعفر قل فقال اشهد الله
واشهدكم ان هذه الجارية حرة لوجه الله العظيم واسالكم ان تجعلوها تزوجني
فتحير جعفر اسفا على الجارية ثم خاطبها فقال لها اتختارين ان ازوجك من مولاك قالت
نعم بعد الفراق ثم خطب وزوجها ثم اقبل على الفتى فقال له يا هذا ما حملك على
ما فعلته فقال حديث يطول ان نشطت لسماعه حدثتك به فقال لا اقل ان نسمعه
فلعلنا نبسط عذرك فقال نعم انا فلان ابن فلان وكان ابي من وجوه اهل هذا البلد ومياسيره
وهذا كان بذلك واوما الى النخاس وانه اسلمني الى الكتاب وكانت لامي صبية وسنها
في سني وهي جاريتي هذه فكانت معي في الكتاب تتعلم ما اعلم وتنصرف معنا
فبلغت ثم عطلت عن المكتب ثم علمت الغنا فكنت تجيئني فيها اتعلمه معها
وتعلق بقلبي منها حب شديد فخطبني وجوه اهل البصرة لبناتهم فخبرني ابي فاظهرت
له الزهد في الزواج ونشات موقرا على الادب متقلبا في نعمة ابي غير متعرض لما
يتعرض اليه الاحداث لتعلق قلبي بالصبية ورغبة اهل البلد تزداد في وكنت اعدهم
ان عفتي لصلاحي وما كانت الا لتعلق قلبي بالجارية وان شهوتي لا تعداها الى احد
وبلغت وحذقت في الغناء ما قد سمعتموه فعزمت امي على بيعها وهي لا تعلم ما في
نفسي منها واحسست بالموت واضطررت الى صدقة امي عن الصورة فحدثت ابي فاجتمع
رايهما على ان وهبت لي الجارية وجهزاها كما يجهز اهل البيوتات لنسائهم وجليت
علي وعمل لي العرس الحسن فنعمت معها دهرا ثم مات ابي فلم احسن ان اربي نعمته
واسات تدبيرها واسرفت في الاكل والشرب والقيان وانا مع ذلك اخسر في اليوم
الواحد خمسين دينارا واكثر تجاوزها في جماع او حب الى ان تلفت النعمة وافضت
الحال بالفقر الملح الى ما ترون وانا على هذا منذ سنين فلما كان في هذا الوقت وبلغني دخول
الخليفة ووزيره واكابر اهل مملكته قلت لها يا اختي ان شبابك يبلى وعمرك يفنى
في الشقاء والله ما في نفسي شيء فاني اعلم انها تالفة متى فارقتني ولكني اوثر تلفها
مع وصولك الى نعمة ورفاهية فدعني اعرضك فلعل ان يشتريك بعض هؤلاء

الاكابر فتخلص معه في غرور وزعم من العيش فان مت بعدك فبذلك امنيتي ويكون كل واحد منا قد تخلص من الشقا وان حكم الله تعالى علي بالبقاء صبرت لقضائه واضطربت في معاشي فبكت من ذلك وقلقت ثم قالت افعل فخرجت الى هذا النخاس واطلعته على امري وقد كان يسمع غناها في ايام نعمتي ويعرف حالها وحالي وعلمته ابدا الا عندي فانها والله ما تكشفت قط عتبة هذه الدار واردت بذلك ان يراها المشتري وخرجت ولا تمتهن بسوق ولا دخول الى بيوت الناس وانها لم يكن لها ما تلبسه الا قميص هذا وهو مشترك بيننا البسه اذا خرجت لابتاع القوت وتتشح هي بازارها فاذا جئت الى البيت لبستها اياه واتوشح انا بالازار فلما جئتم لعرضها خرجت فعنتكم فلحقني من البكا والقلق لفراقها امر عظيم ودخلت الي وقالت يا هذا ما العجب ام لك انت مللتني فاثرت فراقي وتبكي هذا البكا فقلت ياهذه والله لفراق نفسي اسهل علي من فراقك وانما اردت ان تتخلص من هذا الشقاء فقالت والله يا مولاي لو ملكت ما ملكت مني ما بعتك ابدا ومتى جوعنا فيكون الموت هو الذي فرق بيننا فقلت لها عليك تريدين ان تعلمي صدق قولي قالت نعم قلت هل لك ان اخرج الساعة الى المشتري واعتقك بين يديه واتزوجك ثم اصبر معك على ما نحن عليه الى ان ياتي الله بالفرج والصنع الجميل من عنده او يموت عاجلا وراحة فقالت ان كنت صادقا فافعل هذا فما اريد غيره فخرجت اليكم فكان مني ما قد علمتم فاعتقها فقال جعفر انت معذور ونهض ونهضت والنخاس فلما قدمت حميرنا لنركب دنوت منه فقلت سبحان الله مثلك في جودك يرى هذه المكرمة فلا تنتهز الفرصة فيها والله لقد تقطع قلبي على الفتى والجارية فقال ويحك وقلبي والله ولكن غيظني من قول الجارية اياي منعني من التكرم عليه فقلت وابن الرغبة في الثواب قال صدقت والله ثم التفت الى النخاس وقال كم كان هذا الخادم سلم اليك عند ركوبنا لنشتريها قال ثلاثة الاف دينار قال فاين هي قال مع غلامي فقال لي وللنخاس خذها وادفعها الى الفتى وقولا له يكتسي ويركب ويجيئني لاحسن اليه واستخدمه فرجعت الى الفتى وانا ابكي فقلت له يا هذا قد عجل الله عليك بالفرج ان الذي خرج من عندك لهو الوزير بن الامير جعفر بن يحيى البرمكي وقد امر لك بهذا وهو يقول لك كذا وكذا قال فصعق حتى قلت قد تلف

ثم

ثم افاق فاقبل يدعو لجعفر ويشكره فركبت فلحقت جعفرا فاخبرته فحمد الله عز وجل على ما وفقه وعاد الى داره وانا معه فلما كان العشاء جئنا الى الرشيد فاخذ يسائل جعفرا عن خبره في يومه فيخبره بالامور السلطانية ثم فاوضه فيما سوى ذلك الى ان قص عليه حديث الفتى والجارية فقال الرشيد فما علمت فاخبره فاستطاب رايه وقال ادفع له برزق سلطاني في رسم ارباب النعم في كل شهر بكذا وكذا واعمل به بعد ذلك ما شئت قال فلما كان من الغد جاءنا الفتى راكبا بثياب حسنة وهيئة جميلة واذا هو من احسن الناس كلاما واتمهم ادبا فحملته معي الى جعفر واوصلته الى مجلسه فامر بتسهيل وصوله اليه وخلطه بحاشيته ودفع له عن الخليفة بما كان رسمه له وعن نفسه بشيء اخر وشاع حديثه بالبصرة وفي اهل العسكر فلم يبق فيها من اكابر الناس واهل الغنى واحد الا اهدى له شيئا جليلا فما خرجنا من البصرة الا وهو رب نعمة صالحة

ذكر ابو علي محمد بن الحسين بن جمهور العمي البصري الكاتب في كتاب السمار والندامى فزعم ان الرشيد لما حج معه ابراهيم الموصلي وساق الخبر عن قريب مما ذكره وان الجارية بدأت فغنت بصوت من صنعة ابراهيم الموصلي وهو هذا

نمت على زفرة صاعده ⁂ وملني القائد والقائده
يارب كم فرجت من كربة ⁂ عني ففرج هذه الواحده

وان الذي حضر لتقليب الجارية الرشيد وجعفر بن يحيى متنكرين ومعهما ابراهيم الموصلي والنخاس وانهم اشتروا وقطعوا الثمن على مائة الف درهم ثم عادوا والمال معهم وامروا باعادة التقليب ثم ذكر الحديث عن قريب مما تقدم فغنت بصوت الغنا فيه لابراهيم الموصلي وهو هذا

ومن عادة الايام ان صروفها ⁂ اذا ساء منها جانب ساء جانب
وما العيش في الايام الا ذميمة ⁂ ولا الدهر الا وهو بالثار طالب

فقيل انفذ هارون الرشيد الى مالك بن انس رضي الله عنه خمسماية دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب الرشيد وقال اعطيته انا خمسماية دينار واعطيته انت الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المومنين ان لي في كل يوم من غلتي

ألف دينار فاستحييت أن أعطي مثله أقل من مدخل يوم وقيل إنه لم تجب عليه زكاة قط مع أن مدخله كل يوم ألف دينار **ذكر خديم بن أبي يحيى** الصولي أن الرشيد دعاه يوما ليأكل معه فلما توسط الأكل رفع رأسه إلى الرجل ليكلمه بالفارسية قال فقلت يا أمير المؤمنين إن كنت تريد أن تسر إليه فأنا أفهم الفارسية فمرني أن أتخلى أو تقدم بما تريد فأعجب الرشيد من كرم أخلاقه وصدقه وخاطب الرجل سرا بما أراد وأمر لخديم بصلة سنية **قيل خروج** على الرشيد بعض الخوارج فأنفذ إليه جيشا وظفر به فلما دخل عليه قال ما تريد أن أصنع بك قال الذي تريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه فأطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وأمر بإطلاقه فلما خرج قال بعض من حضر يا أمير المؤمنين يقتل رجالك ويفني أموالك وتطلقه بكلمة واحدة تأمل هذا الأمر فإنه يجرئ أهل الشر فأمر برده فلما تمثل بين يديه علم أنه سعي به عنده فقال يا أمير المؤمنين لا تطعهم في فلو أطاعهم الله عز وجل فيك ما استخلفك ساعة واحدة فأمر بإطلاقه وقال لا تعاود في شأنك **وظهر يحيى** بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بالديلم فقوي أمره فشق ذلك على الرشيد واهتم به اهتماما شديدا فنهض إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف وانهض معه وجوه القواد وولاه كور الجبل وذلك في سنة ست وسبعين ومائة وفيه يقول أبو نواس الحميري

رأى الله تفضيل بن يحيى بن خالد فيفضله والله بالناس أعلم

في أبيات له فمضى الفضل نحو الديلم وأرسل كتبه إلى يحيى بن عبد الله بن حسن وأرسل رسله بالرفق والبر والاستمالة والترغيب والترهيب وبسط الآمال إلى أن أجاب يحيى إلى الصلح والخروج على الأمان فأخذ له بخط الرشيد فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد فسر لذلك وحسن موقعه منه وكتب الأمان ليحيى وأشهد على نفسه القضاة والعدول وأنفذ إلى الفضل فأنفذه الفضل إلى يحيى بن عبد الله فقدم على الفضل بن يحيى فقدم به الفضل إلى الرشيد فلقيه بكل ما أحب وأكثر بره وأنزله منزلا شديدا وأعطاه مالا جليلا وبر الفضل بن يحيى وشكر له فعله ففي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة

ظفرت

ظفرت فلا شلت يدا برمكية رتقت بها الفتق الذي بين هاشم
على حين أعيا الراتقين التئامه فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم
فأصبحت قد فازت يداك بخطة من المجد هذا ذكرها في المواسم
وما زال قدح المجد يخرج فائزا لكم كلما ضمت قداح المساهم

وقلد الرشيد جعفر بن يحيى الغرب كله من الأنبار إلى إفريقية في سنة ست وسبعين ومائة وكان يميل إلى جعفر أكثر من ميله إلى الفضل وكان الفضل رضيعه وإنما خص به جعفر دون الفضل لسماحة أخلاق جعفر وشدة أخلاق الفضل **وكتب علي** بن عيسى بن ماهان إلى الرشيد فسعى بيحيى بن خالد وبابنيه الفضل وجعفر وكانت تحته أختهما فرمى الرشيد الكتاب إلى جعفر وقال له أجبه فكتب على ظهره حفظك الله يا أخي وحبب إليك الوفاء فقد أبغضته وبغض إليك الغدر فقد أحببته إن حسن الظن بالأيام داعية الغير وما حبة الأشرار والله المستعان وعليه التكلان **وهجا العمير** الشاعر الفضل بن يحيى ثم أتاه راغبا معتذرا إليه فقال له الفضل بأي وجه تلقاني فقال بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك فضحك منه ورضي عليه ووصله **وحدث** سهل بن هارون الكاتب أن يحيى بن خالد قال دخلت على الرشيد يوما في بيت مملكته في موضع حرمته الذي لا يجاوز إليه في ذي رحم ولا واجب حق وحجبه مسألة عليه فظننت أن معه بعض أهله وكان لا يحجب عني شيئا من حرمه فلما رآني قال من تنظر معي يا أبا جعفر قال يحيى فبكيت بكاء شديدا حتى امتلأ ردائي فقال لي الرشيد ما الذي يبكيك ولقد ظننت أني أسرك فيما أراه إلا وقد استضحكتك فقلت يا أمير المؤمنين ما يبكيني إلا نعمة عظمت علينا لله فيك وإني لأتوقع زوالها فأمر الرشيد جعفر بالخروج إلى أبيه ورفع الله قدر بني برمك عند الرشيد حتى جعل الوزارة فيهم والكتابة إليهم وخزائن الأموال بأيديهم وضروب الأرزاق والإنفاق إلى نظرهم وسد باب السعي عنهم والسعاية بهم فلم يطمع طامع في التقرب إلى الأرزاق بالطعن فيهم لأنه إذا تناولهم أحد عنده أعلمهم به وأوجد لهم سبيل الانتصار منه لطيف محل كان أو قريب رحم فكثر حسادهم

ونمت اعداؤهم وكثر لهم القالي من الشيخ والعالي وانبعثت سهام اهل الكرخ في اغراض مجدهم وسنام سوددهم الذي جاوزوا به بعيد الغايات وارتقوا على قنن النهايات وكان اول من فتح باب الطعن عليهم وصرح بمساويهم وقبح جميع محاسنهم ومعاليهم ونبه على عوراتهم وابدى سيئاتهم عوضا من حسناتهم حتى علقت اشجار غرسه في قلب الرشيد ونفسه رجل من العرب اسمه عزيز وكان الفضل بن الربيع قد ادخله على الرشيد وقربه فادناه الرشيد من نفسه وعظمت منزلته عنده لانه كان عنده ادب ومعرفة باخبار الرشيد وكان اشد الناس عداوة لبني برمك فما دخل على الرشيد مرة الا قدح فيهم ونبه على مساويهم حتى حصل ذلك في قلب الرشيد على البرامكة تاثيرا آل منه امرهم الى التدمير **قال القاضي** ابو يوسف كنت يوما عند الرشيد يتحدث معي في بني برمك حتى قيل له جعفر اتى فقام اليه الرشيد وصافحه وقبل كتفه واجلسه معه في المرتبة ثم انحنى في قال القاضي فبقيت متعجبا فقال لي الرشيد وقد فهم عني والله ما قبلت منه الا موضع سيفي **وقال ابن وضاح** حج الرشيد سنة ست وثمانين ومائة ومعه محمد والمامون ابناؤه وام جعفر زبيدة ويحيى بن خالد وابنه جعفر فلما صار بمكة جدد البيعة على الناس لابنيه وكتب الشروط بينهما **وقال** ابن صبيح البيعة التي كتبها لهما فلما قرا ابن صبيح فاذا توفي هارون الرشيد فولي عهده محمد ولده وبعده المامون بكت ام جعفر زبيدة حتى سمع بكاؤها ووقع محمد والمامون بخطوط ايديهما في ذلك وشهد عليهما فيه **فلما** فرغ من الشهادة امر الرشيد بتعليقها في الكعبة وانصرف فنزل الحيرة ثلاثة ايام على عون الجوهر ومعه جعفر بن يحيى وكان يحيى بن خالد قد صار الى بغداد فكتب الى كنيسة لبعض المنذر فرأى فيها جعفر اعليه كتابا لا يفهم فامر باحضار التراجمة وقال في نفسه قد جعلت ما فيه فالا لما خافه من الرشيد وارتجوه منه قال فقرئ فاذا فيه هذه الابيات

ان بني المنذر عام انقضوا ⁂ وحيث شاد البيعة المواهب
اضحوا ولا يرجوهم راغب ⁂ يوما ولا يرهبهم راهب

تبج

تبح بالمسك ذفاريهم ⁂ والعنبر الورد لهم قاطب
فاصبحوا كالعود الثرى ⁂ وانقطع المطلوب والطالب

قال مخبر لقد لحق جعفر حزنا شديدا وصارت الابيات هجيراه فكانت تجري على لسانه في كل وقت فيقول جعفر ذهب والله امرنا ثم انصرف الرشيد الى الانبار فقدمها في اخر المحرم سنة سبع وثمانين ومائة ونزل في المضارب فلما كان ليلة السبت مستهل صفر بعث مسرورا الخادم وابا عصمة حماد بن سلمة فقال لهم احضروا جعفر بن يحيى ماشيا من مضربه قال فتوقف مسرور فانتهره الرشيد فمضى القوم الى جعفر فوجدوه جالسا متفضلا في قميص متشح برداء معلم وعنده بختيشوع المتطبب وابو زكار الاعمى يغنيه هذه الابيات

فلا تبعد فكل فتى سياتي ⁂ عليه الموت يطرق او يغاد
وكل ذخيرة لا بد يوما ⁂ وان بقيت تصير الى نفاد
ولو فديت من احداث الليالي ⁂ فديتك بالطريف وبالتلاد

فقال له مسرور قم فدعا بثيابه فدنى سالم الخادم فاخذ بيده وقال له قم فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاتوا به ماشيا الى المضرب ثم دخلوا الى الرشيد فقالوا قد احضرناه فقال قيدوه فاتوه فقالوا قيدناه فقالوا امضوا فاضربوا عنقه فتوقفوا فانتهرهم فمضوا فلما قدموه ليضربوا عنقه جعل يناشدهم ويذكرهم الحرمة ويستعطفهم ويبكي ويسالهم التوقف لعل امير المومنين يدعو به فضربوا عنقه ثم دعاهم الرشيد فقال ما صنعتم قالوا ضربنا عنقه قال اجيئوني بجثته فجاءوا بذلك وادخلوه في نطع وقد وضعوا راسه على صدره وغطوه بذلك الرداء المورد المعلم فكشفوه حتى رآه ثم قال غطوه ثم وجه الرشيد سلاما الابرش وصالحا صاحب المصلى الى بغداد فقبضوا على يحيى وولده واهله واحاطوا بمنازلهم وما فيها وبعث الرشيد بجثة جعفر وراسه الى بغداد وكان لبغداد ثلاثة جسور فنصب راسه على جسر وقطع جسده نصفين فنصب على كل جسر نصفا وكان من امر البرامكة ما سارت به الركبان وعمرت من عجائبه البلدان واختلف الناس في سبب ايقاعه بهم فاما الظاهر فاحتياز

فقال

الاموال وكان قد اطلق رجل من آل ابي طالب كان في ايديهم فاطلقه جعفر واحسن اليه وانما الباطن فلا يعلمه الا الله **وذكر** في قتل جعفر اشياء يوحش في بعضها **وذكر سعيد** بن هريم قال قالت علية للرشيد بعد ايقاعه بالبرامكة ما رايت يا سيدي يوم سرور تاما منذ قتلت جعفرا فلاي شيء قتلته فقال لها يا حياتي لو علمت ان قميصي يعلم السبب الذي قتلت به جعفرا لاحرقته **وسئل سعيد** بن مسلم عن جناية البرامكة وسبب غضب الرشيد عليهم فقال والله ما كانت لهم جناية توجب ما عمل بهم الرشيد مع تاكد الايمان والاحوال بينه وبينهم ولاكن ايامهم طالت وكل طويل مملول ومل الرشيد مع ذلك انس النعمة بهم وكثرة حمد الناس لهم ورميهم بآمالهم اليهم والملوك تنفس اكثر من هذا واقل فعتب عليهم وتجنى وطلب مساويهم ووقع منهم بعض الادلال والثقة خاصة من جعفر والفضل لا من يحيى فانه كان احكم تجربة واكثر للامور ممارسة ولاذ بالرشيد قوم من اعدائهم وتمكن الفضل بن الربيع منه وكان من اعداء الناس لهم فستر المحاسن واظهر القبائح وسيرها وزاد عليها فهذا كان سببهم **وتوفي** ابو علي يحيى بن خالد في محبسه بالرقة بعد انصراف الرشيد من الري في المحرم سنة تسعين ومائة وهو ابن اربع وستين سنة كان موته فجاءة من غير علة ودفن بالرقة وصلى عليه ولده الفضل وبنا على قبره بناء عاليا ثم توفي الفضل من علة نالته من رطوبة في شقته ولسانه الحمد لله عافانا مما ابتلاه وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا توفي يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين ومائة قبل وفات الرشيد بخمسة اشهر وسنه خمس واربعون سنة وصلى عليه اكثر الناس وحزن عليهم الشيب واشتد الجزع عليه من سائر الناس ودفن الى جانب قبر ابيه وقد كان الرشيد ندم على ما كان عجل به من نكبتهم وكان يقول بعد ايقاعه بالبرامكة حملونا على نصحائنا واغرونا بكفاتنا وضمنوا لنا ان يقوموا مقامهم لنا حتى اذا صرنا بهم الى ما ارادوا منا لم يغنوا غناهم ولا بلغ جهدهم عفوهم واني لاجد في شعر الحطيئة صفتهم وصفة من حملنا عليهم ثم ينشد قول الحطيئة حيث يقول

اقلوا

اقلوا عليهم لا ابا لابيكم من اللوم او سدوا المكان الذي سدوا
اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا

ولم يبق شاعر في ذلك الوقت الا رثاهم فمنهم من يواسي لهم باحسان تقدم لهم عليه ومنهم من جعله اعتبارا فمنهم مسلم بن الوليد الانصاري حيث يقول

ولما رايت السيف جلل جعفرا ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت انما قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
اجعفر ان تهلك فرب عظيمة كشفت ونعمى قد وطئت بها نعلا
فقل للذي ابدى ليحيى وجعفر شماتته انشر لشانيهما الفيل
ليذبل غصن الملك في آل برمك فما دب حتى اثمر الغصن واستعلا
وما الدهر الا دولة بعد دولة تبدل ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
على انها ليست تدوم لاهلها ولو انها دامت لكنتم بها اولى
بني برمك كنتم من المجد قلة وكنتم له العينين في الهامة العليا
بني برمك كنتم نجوما مضية بها يهتدى في ظلمة الليل من اسرى
بني برمك كنتم قواعد عزنا وكنتم يمين الجود فاختلف اليمنا
الا ايكم ابكي على الفضل في الندا ام الشيخ يحيى ام لمحبوسه موسى
ام الملك المصلوب من بعد ملكه ابكيه بكاء المعولات من الثكلا
لكلكم ابكي بعين سخية وقلب قريح لا يموت ولا يحيى

وقال اشجع ابن عمر السلمي

امين الله هب فضل بن يحيى لنفسك ايها الملك الهمام
وكيف يطيب لي عيش وفضل اسير دونه بلد وشام
وجعفر قد ثوى بالجسر تمحوا محاسنه الهواجر والقتام
امر به فيغلبني بكائي وان كان البكاء به اكتتام
اقول له وقمت حذاه نصبا الى ان كاد يفضحني المقام
اما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لا تنام
لثمنا ركن جذعك واستلمنا كما للناس بالركن استلام

وما ابصرت قبلك يا ابن يحيى * حساما فله السيف الحسام
وقال الحسن بن الضحاك يرثيهم ويخص الفضل
حتى فني اقبال الرمة * تعيقوه الرياح
جدث فيه مع الجود * عفاف وصلاح
ولقد قلت وملقي * الصدو وابن جناح
لم يمت فضل بن يحيى * انما مات السماح
ييسر الراغب ان ينهض * للجود الجناح
واستراح الرجل والخيل * فر والخبب الو فلاح
اي نجح بتنا تنل * وقد باد النجاح

وقصائد كثيرة يطول تتبعها **ولما كان** من امر البرامكة ما قد ذكر غلب الفضل بن الربيع على اكثر الامور واستوزره الرشيد وكان قبل ذلك حاجبه لم يعزله عن الحجابة وكان عظيم الباس شديد الكبر وكان مع تيهه قليل الاقبال **ذكر** ان عامل الاهواز بعث اليه بسلال مسلولة فوضعت بين يديه فقال حلوها فحلوها فوجدوا فيها دنانير ودراهم فقال اعيروا شرادها وردوها اليه وامر كاتبه فكتب اليه جاءتنا سلال بعثت بها توهمنا ان فيها سكرا وفانيذا فوجدناك قد بعثت الينا بدنانير ودراهم فرددناها اليك لتبعث فيها السكر والفانيذ ونردها اليك دنانير ودراهم وكان قد احب الادب وعني به في اخر ايام البرامكة لاستجهالهم اياه وما كان جعفر يلقاه به وجد في طلب العلم بعد البرامكة حتى اشخص ابا عبيدة من البصرة اليه فاقام عنده مدة **وذكر جعفر** بن وهب قال بينما انا عند الفضل بن الربيع يوما اذ دخل عليه يحيى بن مقاتل فقال له قد كلمت امير المومنين وعرفته حالك في دينك ومذهبك فامر بتقليدك قضاء فارس وهذا عهدك به فقام محمد بن مقاتل فقبل يده فقال له الفضل اتقبل يدي على ان تكلمت فيك حتى رايت افضل من المسلمين لا يرى ان الله عز وجل ابوه بانه اراد العهد فرده اليه وخبر الرشيد خبره فشكر له فعله **وذكر ان ابي شبل** كان حبس ابا العتاهية ليقول

الغزل

الغزل فلما امتنع ابو العتاهية وامتنع الرشيد من اطلاقه فكتب اليه من الحبس
اما والله ان الظلم لوم * وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم
سل الايام عن امم تقضت * ستخبرك المعالم والرسوم
تنام ولم تنم عنك المنايا * تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا * وكم من رام قبلك ما تروم
لهوت عن الفناء وانت تفنى * وما شيء من الدنيا يدوم

وهي قصيدة طويلة فلما وصلت الى الرشيد بكا بكاء شديدا وامر باطلاقه واحضاره فاحضر على احسن هيئة وخلع عليه وامر له بمال واعفاه من كل ما كرهه من قول الغزل **وذكر عن المفضل** بن محمد الضبي اللغوي قال جاءني رسول الرشيد يوم خميس بكرة فقال لي اجب امير المومنين فدخلت عليه فوجدت ولده محمدا عن يمينه والمامون عن يساره والكسائي بين يديه باركا وهو يطارح محمدا والمامون معاني القران فسلمت فرد وقال لي اجلس فجلست فقال لي كم اسم في فسيكفيكهم الله قلت ثلاثة يا امير المومنين اولها اسم الله تعالى والثاني اسم النبي صلى الله عليه وسلم والثالث اسم الكفرة فالياء والكاف المتصلان بالسين لله عز وجل والياء والكاف المتصلان بالهاء للنبي صلى الله عليه وسلم والهاء والميم للكفرة قال صدقت كذا اخبرنا الشيخ واشار بيده الى الكسائي والتفت الى محمد فقال افهمت قال قد فهمت يا امير المومنين قال فاردد ذلك علي فرده قال احسنت ثم ضرب بطرفه الي فقال من يقول

نفلوها ما لم تنله سيوفنا * باسيافنا هام الملوك القماقم

قال فقلت ما اراد الفرزدق وبهذا يا امير المومنين قال هذا لفظ مدغم يستر فيه صوابه معناه على التقديم والتاخير وذلك انه قال نفلو باسيافنا هام الملوك القماقم ثم رجع فقال هاما لم تنله سيوفنا على التشبيه والتعجب قال صدقت ثم قال ثبتت عندك المسالة قلت نعم يا امير المومنين ثم قال ايه وقال الفرزدق ايضا

عبق

أخذنا بآفاق السماء عليكم ◆ لنا قمراها والنجوم الطوالع

قال فقد أفدنا هذا من هذا الشيخ علي بن حمزة يعني الكسائي قال القمران الشمس والقمر كما قالوا في العمرين يريد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قلت أزيد في السؤال يا أمير المومنين قال زد قلت فلم استخفوا هذا بعد ولم قالوا ذلك قال لأن من شأن العرب إذا اجتمع شيئان من جنس واحد فكان أحدهما أشهر فسموا الآخر باسمه ولما كان القمر عند العرب أشهر وفي أوقات المشاهدة أكثر وتداركه ليلا ونهارا سموا الشمس باسمه وكذلك لما كانت خلافة عمر رضي الله عنه أشهر في الإسلام وأكثر في الفتوحات وطول المدة غلبوا اسمه على اسم أبي بكر رضي الله عنهما ثم قلت قد بقي في هذا زيادة يا أمير المومنين قال ادع فيها ثم التفت إلى الكسائي فقال أعندك في هذا أكثر مما سمعت قال يا أمير المومنين هذا الذي هو معنى وفي المعنى عند العرب قال المفضل فأمسك عني قليلا كالمستعمل الفكرة ثم نظر إلي فقال أعندك فيه زيادة قلت نعم يا أمير المومنين وهي فضيلة المعنى والغاية التي أجرى عليها ولولا ذلك لما كان أولى بالشمس والقمر والنجوم من غيره لا يفخر فيه مما حظ غيره فيه كحظه وإنما الشمس هاهنا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه السلام والقمر النبي صلى الله عليه وسلم والكواكب أنت يا أمير المومنين وآباؤك من الخلفاء المهديين فتهلل سرورا ثم قال أغربت على الرجل محسنا ثم رفع رأسه فقال يا فضل قال لبيك يا أمير المومنين قال يحمل إلى منزله عشرة آلاف درهم

قال الأصمعي كنت عند الرشيد ودعي بعبد الملك بن صالح وكان معتقلا بالحديد في حبسه فأقبل يرفل في قيوده فلما مثل بين يديه التفت إليه الرشيد وقد كان يحدث يحيى بن خالد وهو يتمثل ببيت عمر بن معدي كرب الزبيري حيث يقول

أريد حياته ويريد قتلي ◆ عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال يا عبد الملك كأني والله أنظر إلى شؤبوبها قد همع وإلى عارضها قد لمع وكأني بالوعيد قد أورى نارا فأبرق عن براجم بلا معاصم فمهلا مهلا بني هاشم في والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت إليكم الأمور أثناء أزمتها فنزار

نزار لكم من خلول داهية خبوطا باليد والرجل فقال عبد الملك أفذا تكلم يا أمير المومنين أم توءما قال لا بل فذا قال فاتق الله يا أمير المومنين فيما ولاك واحفظه في رعاياك التي استرعاك ولا تجعل الكفر موضع الشكر والعقاب موضع الثواب فقد والله سهلت لك الوعور وجمعت على خوفك ورجائك الصدور وشددت أواخي ملكك بأوثق من ركني يلملم وكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب يعني لبيدا

ومقام ضيق فرجته ◆ ببيان ولسان وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله ◆ لعنوا مثل مقامي وزحل

قال فأعاده إلى محبسه ثم أقبل على جلسائه فقال والله لقد نظرت إلى موضع السيف من عنقه مرارا فيمنعني من قتله إبقاء على مثله قال فأراد يحيى بن خالد أن يضع من عبد الملك ليرضي الرشيد فقال له يا عبد الملك بلغني أنك حقود فقال عبد الملك أيها الوزير إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر في النفس إنهما لباقيان في قلبي فقال الرشيد بالله ما رأيت أحدا احتج للحقد أحسن مما احتج به عبد الملك وكان الرشيد سجنه بسبب ما رفع إليه عبد الرحمن ابنه وكاتبه قمامة ابن زيد وأنه يريد الخلاف عليه فقبض على أمواله كلها وكان عبد الملك قبل ذلك مقدما عنده إلى شبر على ما سواه فبقي مسجونا إلى أن مات الرشيد **وكانت** خلافة هارون الرشيد ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر وقيل شهرين وثمانية عشر يوما **وذكر محمد** ابن إسحاق الموصلي قال لما حضرت هارون الرشيد الوفاة أخذه الفواق فقال واغربتاه فقيل له يا أمير المومنين لست بغريب البلاد بلادك والعباد عبادك فقال اسكتوا فإنه والله من فارق وطنه فإنه غريب وأنشد يقول

إن الغريب ولو يكون خليفة ◆ يجبى الخراج فإن ذاك غريب
ولرب يوم للغريب وليلة ◆ يدعوا فويل ما لديه قريب
فلئن تبسمك يا غريب فإنما ◆ ضحك الغريب بكآبة لعجيب

وكان هارون الرشيد عند موته يحضر أكفانه ويتمرغ عليها ويقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه **وروي عن الأصمعي**

انه قال دخلت على هارون الرشيد فرأيته ينظر في كتاب ودموعه تسيل على خديه فوقفت حتى سكن وحانت منه التفاتة فنظر إلي وقال اجلس ثم رمى بالقرطاس إلي فإذا فيه شعر لابن العتاهية وهو يقول

الموت مختلف جواهره   ولقل ما تزكوا سرائره
ولقل من تصفوا ارادته   ويصح باطنه وظاهره
الناس في الدنيا ذو ثقة   والدهر مسرعة دوائره
والموت لو صح اليقين به   لم ينتفع بالعيش ذاكره
لا خير في الدنيا لذي بصر   عميت لما فيه نواظره
وسبيلها في الموت واحدة   يستوي الاكابر الاصاغره
من كان عند الله مدخرا   سيظهر الله غدا ذخائره
يا من يزيل الموت مهجته   لا شك مالك لا تبادره
هل انت معتبر بمن خربت   منه الغداة معا مساكره
وبمن اذل الدهر مصرعه   فتبرأت منه عشائره
وبمن خلت منه اسرته   وبمن خلت منه منابره
اين الملوك واين غيرهم   صاروا مصيرا انت صائره
والمستعد لمن يفاخره   من الدنيا فان الموت آخره

قال أبو الحسين بن الحسن المسعودي رحمه الله لما اشتدت علة هارون الرشيد وسار الى طوس هونها عليه الاطباء وخفي امرها فارسل ماءه في قارورة مع جملة قوارير فعرضت على متطبب فارسي كان هناك فجعل ينظر فيها قارورة قارورة ويقول ما يقول حتى اتى على القارورة التي فيها ماء هارون فنظر اليها فقال عرفوا صاحب هذه القارورة انه هالك بعد ثلاث ومروه ان يوصي فانه لا برء له من علته هذه فاتى الغلام الى هارون فقال له ما قال فجمجم الغلام ولم يبين فعزم عليه فاخبره بما قال فبكى هارون بكاء شديدا وتململ على فراشه وجعل يردد هذه الابيات ويقول

ان الطبيب بطبه ودوائه   لا يستطيع دفاع محذور اتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي ∴ قد كان يبرئ مثله فيما مضى
ذهب المداوي والمداوى والذي ∴ جلب الدواء وباعه ومن اشترى

قال واشتد ضعفه عند ما سمع كلام هذا الطبيب وارجف الناس بموته فلما بلغه ذلك دعا بحمار ليركبه فلما سار عليه سقط ولم يقدر ان يثبت على السرج فقال صدق المرجفون ثم دعا باكفان فنشرت بين يديه فجعل يختار منها ما يصلح وجعل يقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ثم امر بقبر له فحفر وتوفي رحمه الله بطوس بقرية يقال لها سناباذ من بلاد خراسان يوم السبت لاربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن اربع واربعين سنة واربعة اشهر وستة عشر يوما

ذكر الامين بن الرشيد

هو محمد بن هارون الرشيد يكنى ابا عبد الله وقيل ابا موسى وقيل ابا العباس ولقبه الامين على دين الله امه امة الواحد وقيل امة العزيز بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور ولقبها زبيدة لان المنصور كان يرقصها وهي صغيرة وكانت سمينة فكان يقول لها انت زبيدة فجرت عليها ويقال لها ام جعفر وامها ام ولد يقال لها سلسبيل ولم يكن فيما سلف من الخلفاء قبله ولا فيمن اتى بعده الى آخر من ذكر اسمه في هذا الكتاب من ابيه وامه من بني هاشم الا علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومحمد بن زبيدة هذا وفي هذا يقول ابو الهول الحميري

ملك ابوه وامه من نبعة ∴ منها سراج الامة الوهاج
شربوا بمكة من ذرا بطحائها ∴ ماء النبوة ليس فيه مزاج

بويع له في اليوم الذي مات فيه ابوه الرشيد وهو ابن اثنين وعشرين سنة وتسعة اشهر وعشرين يوما بطوس **وكان** مولده سنة سبعين ومائة وقدم ببيعته رجاء الخادم فكان القائم ببيعته الفضل بن الربيع وكان ابيض سمينا جرامشا واللون صغير العينين ربعة عظيم الكراديس اسود اللحية مدورها اشم الانف انزع بعيد ما بين المنكبين شديدا في بدنه وكان وزيره الفضل بن الربيع وابراهيم بن المهدي عمه **وحاجبه العباس** بن الفضل بن الربيع

ثم علي بن صالح وقاضيه اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة ثم البختري وهب بن وهب ثم محمد بن سماعة وصاحب شرطته محمد بن المسيب نقش خاتمه امنت بالله وقيل نقشه لكل عمل ثواب وكان الغالب عليه اللعب والطرب واللهو والشرب وتغليب الهوى على العقل والباطل على الحق وكان ضعيف الراي لا يفتر من لعب ولا يصحو من شرب سفاكا للدماء وكان مع ذلك جوادا كريما ظريفا وولاه ابوه الرشيد العهد وولى اخاه من بعده وحج بهما وكتب بينهما شروطا وعلق الكتاب في الكعبة فلما جاء ابراهيم الحاجب ليعلقه في البيت سقط من يده فتفاءل الناس بذلك وقالوا هذا الامر لا يدوم فكان كذلك وقال رجل من هذيل عند ذلك فتنة قد سعرت بين انها فقيل له ويحك ما تقول قال اقول ان السيوف ستسل وان الفتنة ستقع والتنازع في الملك سيقع قيل وكيف ذلك قال اما ترى البعير واقفا والرجال يتنازعان والغراب قد وقفا على الدم وانتحيا به والله لا يكون اخر هذا الامر الا محاربة وشرا **قال ابو اسحاق** الموصلي اجتمعت في الامين خصال لم تكن في غيره كان احسن الناس كلهم وجها ولا اختلاف في ذلك وكان اسخاهم على دينار ودرهم واشرف الخلفاء ابا واما وكان حسن الادب عالما بالشعر وكان يغني فيشرب ثم يقول يا اسحاق انشدني من محاسن الشعر فانشده فيطرب ويشرب ثم يقول انا والله اطرب على جيد الشعر كما اطرب على جيد الغنا ولا كرهان عليه القبيح فلج في بحر هواه وارتكب مغواه وكان مع سخايه على المال بخيلا على الطعام جدا ولما تمت له البيعة امر للجند بارزاق سنة وقامت الخطباء والشعراء تذكر الرشيد وايامه ومساعيه وتهنئ محمدا وتذكر فضايله فقال ابو نواس

تعز امير المومنين تعز يا ... على خير ميت غيبته المقابر
فان امير المومنين محمدا ... لرايك حاش للخطوب وصابر
زهت بامير المومنين محمد ... اسرة ملك واستقرت منابر

ثم قال له هات يدك يا امير المومنين لاقبلها فانها احق بالتقبيل لعلوها في المكارم وظهورها في المآثم فمن اراد بك رؤية سوء جعله الله طريد خوفك وحصيد سيفك **قال** وان قتل صالح بن الرشيد والفضل بن الربيع وبكر

بن معتمر

بن المعتمر بالخزاين والاموال والسلاح والكراع ومن يضمه العسكر من القواد وغيرهم من طوس الى بغداد **ونظر** محمد الامين فيمن كان اسقط الرشيد من الجند فكانوا ثمانية الاف فامر بردهم الى الديوان واعطاهم رزق ستة اشهر وكتب الامين الى امه زبيدة في القدوم عليه من الرقة فحملت اثقالها وحشمها في اربعماية سفينة وانحدرت في الفرات وعلى حشمها ثياب السواد وهي تبكي في طريقها على الرشيد وكلما مررن بقصور الرشيد ومصانعه وقفن عليهن فلما قربت من الانبار خرج الامين فتلقاها ودخلت بغداد في شعبان فاقامت المناحة والماتم في دارها سبعة ايام وكان قد اجتمع عليها مصيبتان موت اخيها عيسى بن جعفر وموت الرشيد بعلمها وتوفي عيسى بالدسكرة وهو يريد هارون الرشيد بخراسان سنة اثنين وتسعين ومائة ثم امر الامين باطلاق عبد الملك بن صالح من السجن وكان الرشيد سجنه وقبض على جميع امواله فاطلقه ورد عليه جميع امواله وشخص عبد الملك بن صالح من بغداد الى الرقة فلما وصل اليها تلقوه الناس يهنونه واباه ولد صالح بن علي وغيرهم من اهل بيته فلما اقبل عليهم قال سوءة لكم خلف من خير سلف يرث اباؤكم من بني امية العز العزيز الرفيع والملك السرير المنيع فهزا بالسيف بنت لكم اباؤكم حصنا منيعا رفيعا ثم حصنوه وحاطوه وشادوه لانفسهم ولكم من بعدهم ومضوا الى رحمة الله وخلفوا لكم فرشا ممهدة فضيعتموها وتركتم مذاهب اسلافكم واقبلتم على الاشربة المروية والملاهي الفاضحة المخزية وركوب السفلة فجعل يسمع من رداءة الفاظهم وفساد كلامهم ما ساءه فقال متمثلا

سوء التادب ارداهم وارذلهم ... وقد يشين صحيح المنسب الادب

قال واخذ ولده عبد الرحمن وجعله في قيد والبسه جبة صوف وصيره في مطبخة يصب على راسه غسالات القدور والقصاع واخذ قمامة بن زيد كاتبه فادخله حماما وادخل معه عدة سنانير وسمر عليه الباب وامر بشده فمات فيه فوجد وهو عاض على باب الحمام والسنانير متعلقة به **قال وخلا الامين** يوما للمنادمة مع فتى الى بعض جواريه وهي قايمة تسقيه وفي يدها جام بلور فيه شراب احمر فاعجبته فقال من بالباب من الشعراء فقيل له الحسن بن هانئ فامر بدخوله عليه كما هو

فدخل عليه فلما نظر اليه سلم فرد عليه السلام ثم قال له هل لك ان تصف هذه لي
قال نعم ثم انشد بديهة

شعر

حمراء صافية في جوف صافية   بيضاء تسقى بها خود من الحور
حسناء تحمل حسنا وهي في يدها   صاف من الراح في صافي القوارير

قال احسنت يا حسن وامر له بالفي درهم ولم يزل حال الامير واخيه المامون صالحة واخوتهما مستحكمة والمامون ممتثلا وامر الامير نحو حول الى ان سعى الفضل بن الربيع وبكر بن المعتمر بالشر بينهما والاخذ في نبا بينهما والبغي في المداخلة والمقاطعة بينهما الى ان ابا من استثقال امر المامون وشعث لظهوره ومازال يوغل صدر الامير ويزين له ان يكتب الى المامون في القدوم عليه وكان المامون بخراسان فكتب اليه كتابا نسخته اما بعد فان محلك من قلب امير المومنين المحل الذي لا يبلغه الولد ولا يرتقي فانت نصب عين امير المومنين في كل وقت واكثر ما يجري اليه قلبه وتشتاقه نفسه وقد اوحش امير المومنين بعدك عنه ونزوح دارك عن داره مع حاجته الى قربك ومعاضدتك اياه ومعاونتك على ما قلده الله وحمله وذلك للذي عرف الله امير المومنين من فضل رايك وحزم تدبيرك وكمال فهمك وعلمك وانت اولى من فوضه امير المومنين وسكن اليه ووثق به فيما يورد ويصدر ويقدم ويوخر من الامور التي قلده الله القيام بها وانت احق من حمل عن امير المومنين واعانه وارشده واشار بالصواب عليه فاستنصحه امير المومنين وعمل بمشورته وقد احب امير المومنين ان تونسه بقربك وتويده برايك وتسره برويتك وتقر عينه بزيارتك وامير المومنين يسالك تعجيل الشخوص اليه متوخيا بذلك مسرته وموثرا قربه ومحتملا له مشقة اليه وان تستخلف بخراسان هرثمة بن اعين ومن رايت من قوادك وتقدم كتابك الى امير المومنين بوقت شخوصك اليه ليخرج امير المومنين متلقيا لك ومعجلا السرور برويتك فاعمل بذلك تفديك نفس امير المومنين غير موخر له ولا متوقفا عنه ولا صارف عزمك الى شيء غيره والسلام **قال** فراجعه المامون اما بعد فقد وصل الي كتاب امير المومنين اعزه الله بما اعلمني من حاجته الى قربي لمعاضدته ومعاونته والمشورة عليه وايناسه وحمل الثقل عنه وقد اغنى الله امير المومنين بما جعل عنده من فضل الراي وحزم التدبير

وحسن السياسة والمعرفة بما يورد ويصدر عن مويد يويده او مشير يشير عليه وينبهه او معاون له على امر يعجزه او يقصر عنه نظره فتولى الله امير المومنين باحسن حياطته واجمل كفايته وكان ورد علي كتاب امير المومنين وكور خراسان كلها على حال اضطراب وتفاقم للذي كان رافع بن الليث اوقعه في قلوبهم وزينه لهم فلم تبق ناحية الا وقد خاف اهلها عواقب تلك الهنات ودخلهم الرعب فهم مع المسالمة كالمستعبر ومع اظهار الطاعة كالمخالفين وهو ثمة مقيم بسمرقند لتسكينهم وتاليفهم واصلاحهم وتعطفهم ولقد اصلح البلد واستقامت الامور التي يخاف تبا فيها وارجو الحركة الى امير المومنين ان شاء الله وقد قلت الاموال بخراسان لاتصال الفتن فيها والاضطراب في جميع نواحيها واحتاج من بها من جندنا وشيعتنا الى ان يحمل اليهم ما كان الرشيد امر لهم به من المال فقد اوحشهم تخلفه عنهم وتاخر حمله اليهم حتى كاد ان يفسد طاعتهم لنا ومناصحتهم ايانا فرأي امير المومنين في تعجيل ذلك المال عليهم موفقا ان شاء الله تعالى **قال** فعلم الامير ان المامون لا يقدم عليه ولا يتهيا له ما يريده الا ان يوجه اليه بجيوش كثيرة تخرجه من خراسان اذ لا تمكنه الحيلة فيه فجرت بينهما مراسلات يطول تتبعها ومحاورات يخرج بنا عن المقصود تتبعها فكتب الامير الى جميع الافاق بخلع المامون من ولاية العهد اذ كان قد غدر ونكث وخالف ما اشترط عليه الرشيد من الوفاء والمناصحة والسمع والطاعة وسماه الناكث وبايع لابنه موسى الناطق بالحق **فلما بلغ** المامون ان الامير خلعه واسقط الدعاء له وسماه ناكث العهد وبايع لابنه موسى فعند ذلك تسمى المامون بامير المومنين واسقط اسم الامين من سكك الدنانير والدراهم وسماه ناقض العهد ووجه الامير العساكر اليه وكتب الى عصمة لما تلاحقت به الاجناد ان ينفذ الى خراسان فتوقف عصمة عن ذلك وابى ان يجاوز الحد الذي حده الرشيد في حياته فوجه اليه الامين من ضربه مائة سوط لتاخره عن النفوذ ووجه الى نوفل الخادم القيم القائم باموال المامون فاخذه وامر باحضار ما في يده من الاموال والجوهر والكسوة والمتاع وضربه الفضل بن الربيع بالسياط حتى اقر بكل ما كان في يده وقبضت ضياع المامون في كل البلاد وصيرت لموسى

شبكة الالوكة

بن الامير وافى نوفل الخادم ان جميع اموال المامون وذخايره من الجوهر النفيس الذي كان الرشيد
دفعه اليه عند ام عيسى بنت موسى الهادي زوجة المامون فسار الفضل بن الربيع الى دارها
فهجم عليها فدخلت بيتا ومعها جواريها فاخرجها وتناولها بيده وحمل كلما كان
في دارها **وكتب الامين** الى اهل خراسان في خلع المامون والبراءة منه لامتناعه
من طاعته ولتركه ما اوجب الله عليه من الانتهاء الى امره ويذكر لهم ما نقم عليه من
استعماله الفضل بن سهل المجوسي واتخاذه اياه وزيرا وظهيرا ويحضهم على الاستمساك
بطاعته والوفاء ببيعته ويذكر انهم انصار الدولة وشيعة الحق واولى من سارع الى
طاعته والوفاء بعهده وانه قد ولى خراسان الناصح الشهم المجرب علي بن عيسى
بن ماهان مع جميع كور الجبل وامرهم ان يتلقوه بالسمع والطاعة وحسن المسارعة
فخرج علي بن عيسى بن ماهان الى خراسان من بغداد في جمادى الاخرة سنة خمس
وتسعين ومائة في ثلاثين الف مرتزق وشيعه الامير الى النهروان ودفع اليه الامير قيد فضة
يقيد به المامون فسار حتى بلغ الجبل فكانت رؤساء كل ناحية واثبت خلقا كثيرا
من صعاليك الجبل وانجاد العرب والعجم واعطى جنده ارزاق ستة اشهر وحمل معه ما ينيف
الف دينار وعشرة الاف الف درهم فلما انتهى ابن ماهان الى همذان وجه ابنه يحيى
على مقدمته في خمسة الاف فارس وخمسة الاف راجل وكتب الى اهل خراسان
يصف لهم حالهم وموضعه من الخليفة وانه قد انفذ ابنه يحيى اليهم على مقدمته
يحذرهم الخلاف والمعصية فلما انتهى الخبر الى المامون عظم الخطب عليه لحال ابن
ماهان وجلالته في قلوب اهل خراسان ولكثرة صنايعه والمايلين اليه منهم وكتب الى الامين
يذكر له ماله وعليه في نقض العهود بعد توكيدها وما امر الله به عباده من الصدق
والانتهاء الى ما ندبهم الله اليه من القيام بالحق ويحذره عواقب البغي وزوال النعم وحلول
النقم وانه يستعين بالله عليه ويرجو من الله ان يؤول به الحال الى ما فيه مكروه العاجل
وعقاب الاجل **وكتب** الى ابن ماهان يحذره ويخوفه ويذكر له بيع دينه واخرته
بدنيا قليلة ينالها ويذكر له الاعتذار بالله في تشميره له وتجريده لاحياء الباطل واماتة
الحق ونكث العهود وان الله سبحانه قديما نصر اولياءه والفئة القليلة من حزبه
وهزم بهم من هو اكثر جمعا واشد قوة ثم قال المامون من ينتدب للخروج الى ابن ماهان

فاتفق

فاتفق رايهم على طاهر بن الحسين البوشنجي فوجهه اليه وضموا اليه ستة الاف من نجبة
رجالهم فنفذ الى الري واقبل ابن ماهان في الجيوش العظيمة لا يشك ان خراسان في يده
فلما بلغ همذان انهض ابنه عبد الله ومعه ابو دلف العجلي ومحمد بن الشاه في جمع كثيف
وانهض ابنه الحسين ومعه معاذ بن عبيد الله واحمد بن فراس والحسن بن عاصم في جموع
وعدة فساروا الى قزوين وكان قد انهض ابنه يحيى في المقدمة الى قرية تعرف بجسو
اباذ فاتت الاخبار عن طاهر بتوجيه ابن ماهان العساكر من كل ناحية فوجه
طاهر الى الري ابراهيم بن مصعب لضبط المدينة وتثقيف ابوابها ووجه الى كل
موضع تتوقع عليه لمن يحميه وزحف ابن ماهان حتى نزل رستاق بسسيب على ميلين
من عسكر ابنه يحيى واقبل طاهر فنزل دونه وعبا كل واحد من الفريقين عسكره والزم
قواده ورجاله مراكزهم ثم زحف العسكر وحمل الفريقان فتحاربا محاربة شديدة
فبرز رجل يقال له داود بن سليمان واعجب بنفسه فحمل عليه طاهر فطعنه فاذاله
عن فرسه ثم ركب مشرعا وتراموا بالنشاب وتضاربوا بالسيوف وبرز العباس بن الليث
مولى المهدي وكان فارسا بطلا فقصده طاهر وضرب يديه معا على سيفه
فانثنى عليه وصمد المغ وقد بدارد سياه وكان من الابطال وحمل على ابن
ماهان وطعنه فارداه فصاح اهل العسكر قتل الامير قتل ابن ماهان فانهزم الناس هزيمة
فاحشة وبادر طاهر الى مضرب ابن ماهان فحووا على جميع الاموال والسلاح والكراع ونصب
راسه على رمح ونادى منادي طاهر من اتانا من الناس داخلا في طاعة المامون فله الامان
وعندنا له التقديم والاحسان فاتاه خلق كثير فامنهم واثبتهم وكانت هذه
الهزيمة لتسع خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة **قال الفضل**
ابن الربيع ولما ورد خبر علي بن عيسى بن ماهان وملاقاته لطاهر بن الحسين وقتله وقتل
من معه من القواد وتسمية المامون امير المومنين قال دخلت الى محمد الامين فوجدته
جالسا على البركة ومعه كوثر الخادم ومع كل واحد منهما قصبة وهما
يصطادان السمك فلما رايته قلت لا اقطع عليه لذته حتى يفرغ واتصل الامر
وانا على مثل الجمر حتى زالت الشمس وقلت للمؤذنين اذنوا فاذنوا فوالله ما تحرك ثم
اذنوا بالصلاة بعد حين فما تحرك فقمت فصليت وما ادركته يصلي ثم اذن المؤذنون

بالعصر ثم قلت اذنوا بالصلاة فسلموا واذنوا بالصلاة فما تحرك فلما صليت العصر ولم يتحرك دخلت اليه والكتب معي حتى وقفت بين يديه فنظر الي وقال كانك تريد ان تقول شيئا فقلت نعم يا امير المومنين اعظم الله اجرك في علي بن عيسى بن ماهان فان عبد الله طاهر بن الحسين لقيه بالري فقتله وهزم العسكر وحوى الاموال والسلاح والكراع فقال فالله لا تركتني فان ابا الحسن كوثر قد صاد كذا وكذا سمكة وما صدت الا واحدة فقلت انا لله وانا اليه راجعون وطلبت من يومئذ المهرب وعلمت ان الامر قد ذهب ولم يزل امر الامين ينعكس واحواله تنقلب وكلما نفذ جيشا هزم وكلما امر اميرا صرع ووكلت الجيوش الى اهل المدد وانقضى الامر ونزل طاهر بن الحسين على بغداد يحصرها وهرب الفضل بن الربيع ولم يزل مستترا الى ان قتل محمد بن الامين **قال ابرهيم** بن المهدي وجه الي محمد الامين بعد محاصرة طاهر بن الحسين بغداد فسرت اليه وهو بقصر قرار مشرف على دجلة ليلة اربعة عشر فسلمت عليه فرد علي وقال يا عم اما ترى طيب هذه الليلة وصفاء الجو فيها وحسن القمر في دجلة فقلت يا امير المومنين طيب الله عيشك واعز دولتك وكبت عدوك ثم انه بعث اغنيه لما اعجب من سوء خلقه فقال لي يا عم هل لك فيمن يضرب عليك عودا فقلت ما لي لذلك فاحضر جارية تسمى ضعف فتطيرت من اسمها للحال التي كان عليها فقال لها غني فكان اول ما غنت الجارية شعر

كليب لعمري كان اكثر ناصرا ۞ وايسر جرما منك ضرج بالدم

فاقشعر منه واقشعرت فقال لها ويحك غني غير ذا فاندفعت تغني

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ۞ كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ۞ ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم هلا تردوا فاننا ۞ سواء علينا قاتلاه وسالبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا ۞ وعند فلان سيفه ونجائبه

فقال لها ويحك انما احضرتك لاسر بك مع عمي فقد زدتني غما وهما فلا تغني وغني ما يطرب فتنفست الصعداء واندفعت تغني

اما ورب السكون والحرك ۞ ان المنايا سريعة الدرك

ما اختلف

ما اختلف الليل والنهار ولا ۞ دارت نجوم السماء في الفلك
الا لنقل النعيم من ملك ۞ قد انقضى ملكه الى ملك
وملك ذي العرش دائم ابدا ۞ ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها يا ميشومة اما تحسنين غير هذا فقالت يا سيدي والله ما اطلب سوى مسرتك ولاكن لساني ما جرى عليه غير هذا فقال لها ويحك اتبني وغني غير هذا ما يطرب بنا فاندفعت تغني

ابكي فراقهم عيني وارقها ۞ ان التفرق للاحباب بكاء
ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم ۞ حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها يا ميشومة اما يكفيك من هذا اتبني وغني فاندفعت تغني

هذا مقام مسهد ۞ هدمت منازله ودوره

قال فرماها بعود كان بين يديه فوقع على قدح بلور كان الامين معجبا به وكان يسميه باسمه الامير لاستحسانه اياه فانكسر القدح ونهضت الجارية فقال لي يا عم فنيت والله الايام وانقضت المدة فاذا هاتف يهتف من وراء دجلة قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال اسمعت يا عم قلت يا سيدي ما سمعت شيئا ثم قمت فجلست في بعض الحجر فعاد صوت الهاتف مرارا قضي الامر الذي فيه تستفتيان قال ابراهيم فما خرجت والله الجمعة حتى قتل محمد الامين **وحكى جلس** خادم ام جعفر انه لما احيط بولدها محمد الامير دخلت عليه باكية فقال لها مه انه ليس بجزع النساء عقدت التيجان والخلافة سياسة لا يسعها صدور المراضع وراءك وراءك **وقال ابن واضح** سمعت الحسين بن ابي سعيد يقول كنت احجب المامون بخراسان فلما حمل طاهر بن الحسين راس محمد الامير وحمل اليه ابنيه موسى وعبد الله حشر الناس لليوم الذي جيء فيه بالراس فدخل على بغل في صندوق وعليه قبة فلما جلس المامون دعا بالصندوق وامرني ففتحته فاخرجت منه ثوبا مختوما بخاتم طاهر فاذا فيه سلة خيزران ففتحتها فاذا فيه منديل مصر عليه مسك كثير مختوم ففتح المنديل فاذا فيه سلة فضة عليها سلسلة ففتحتها فاذا فيه قطن كثير من فوق القطن فاذا وجه محمد قد بدا كانه البدر لم يتغير فلما راه المامون لم يملك

النساء

نفسه ان بكا وارتفع صوته بالنحيب فقال له الفضل بن سهل والله يا امير المومنين لو ظفر
بك محمد لفعل بك مثل هذا فاحمد الله اذ ظفرك به ولم يظفر بك وقد علم
الناس ان الراس قدم به رسول طاهر فلينصب لهم ساعة حتى يروه فقام المامون
من مجلسه وامر الفضل بن سهل ان ينصب الراس على رمح فوضع على رمح واخرج للناس
فجعل الناس يتناولونه بالمكروه ويقولون الحمد لله الذي قتل المخلوع وفعل به وفعل
حتى اتى شيخ من الخراسانية فقال باعلا صوته لعن الله المخلوع ولعن والديه وما ولد
فسمعه المامون فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم امر بالراس فانزل ورد في اله وعيبة التي
كان فيها وادخل الخزانة **وذكر** ان الفضل بن سهل قال ما فعل بنا طاهر سل علينا
سيوف الناس والسنتهم امرناه ان يبعث به اسيرا فبعث به عقيرا **وكانت**
خلافة الامين اربع سنين وستة اشهر وقيل سبعة اشهر وثمانية عشر يوما وقيل ثمانية
اشهر وستة ايام وكانت ايامه في الحصار مع خلعه الى مقتله سنة واحدة وستة اشهر
وثلاثة عشر يوما منها يوما حبس فيها وقتل ببغداد ليلة الاحد لخمس بقين
من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل لسبع خلون من صفر وقتل وهو ابن سبع
وعشرين سنة وستة اشهر وثمانية عشر يوما ودفنت جثته ببغداد وراسه بخراسان
رحم الله الكاتب والقار والمستمع ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر المامون بن الرشيد

هو عبد الله بن هارون الرشيد يكنى ابا جعفر وقيل ابا العباس ولقبه المامون على دين
الله امه رومية وقيل تركية تسمى مراجل ولدته ببغداد في قصر الخلد في الليلة
التي استخلف فيها الرشيد في النصف من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة ولم يلبث بعد
مولده الا مدة يسيرة وتوفيت امه وعاتبها الرشيد يوما ثم ندم فبعث اليها فابت
من المجي اليه فعاود البعث اليها فابت فاقلقه الشوق فقام من منزلها فارد ملها بروا عينيه
وانشد

تبدي صدودا وتخفي تحته ولها … فالنفس راضية والطرف غضبان
يا من وضعت لها خدي فذللها … وليس فوقي سوى الرحمن سلطان

بويع له ببغداد صبيحة الليلة التي قتل فيها اخوه الامين وهو ابن سبع وعشرين
سنة وعشرة اشهر وسبعة ايام وقيل وتسعة عشر يوما وقيل بويع على راس المايتين
وقيل لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة **وكان ابيض** تعلوه صفرة
كوسجا اعين طويل اللحية طويل القد ضيق الجبين بخده خال اسود صغير الوجه مدوره
وكان ساقاه اصفرين دون ساير جسده كانما طليا بالزعفران نحيف الجسم كامل
الفضل جوادا عظيم العفو يضرب في كل علم بحظ وافر حتى في العلوم الرياضية
والهمة العلية حتى الف الزيجات واحكم اخذ الطوالع بالاسطرلابات والتزم
الصلاة بالناس في المسجد الجامع الاعظم وخطب بنفسه وانتصب كل يوم للحكومة
بين الناس يدخل عليه الصغير والكبير والمراة والصبي والحر والعبد فيحكم بينهم
بالعدل **ذكر قحطبة** بن حميد قال كنت واقفا على راس المامون يوما
وقد قعد للمظالم فاطال الجلوس حتى زالت الشمس فاذا امراة قد اقبلت تعثر
في ذيلها حتى وقفت على طرف البساط فقالت السلام عليك يا امير المومنين ورحمة
الله وبركاته فنظر المامون الى يحيى بن اكثم فاقبل يجيب عليها فقال تكلم
فقالت يا امير المومنين حيل بيني وبين ضيعتي وليس لي ناصر الا الله تبارك وتعالى
فقال لها يحيى بن اكثم ان الوقت قد فات ولكن عودي يوم الخميس قال فرجعت
فلما كان يوم الخميس جلس المامون وقال اول ما تدعى المراة المظلومة قال
فدعى بها فقيل لها اين خصمك قالت واقف على راسك يا امير المومنين قد
حيل بيني وبينه واشارت الى العباس ابنه فقال لاحمد بن ابي خالد خذ بيده فاقعده معها
ففعل فتناظرا ساعة حتى علا صوتها عليه فقال احمد بن ابي خالد ايتها المراة
انك تناظرين الامير اعزه الله بحضرة امير المومنين اطال الله بقاءه فاخفضي صوتك
فقال المامون دعها يا احمد فان الحق انطقها والباطل ابكمه فلم تزل تناظره حتى
حكم لها المامون عليه وامر برد ضيعتها عليها وامر ابن ابي خالد ان يدفع لها
عشرة الاف درهم خطيئة **وكان المامون** مع هذه الخصال
المحمودة والافعال السديدة نهاية في الشجاعة والفروسية والشهامة والفصاحة
والعلم وكان كما قال فيه بلال بن جرير مادحا له من قصيدة يقول فيها

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا   بالدين والعلم والدنيا له تبع

وكان وزيره الفضل بن سهل الملقب بذي الرئاستين ثم أخوه الحسن بن سهل ثم أحمد بن خالد الأحول وهو الذي قرأ بين يديه كتابا فيه البريد فصحفه الثريد فأمر المأمون أن يطعم وقال أبو العباس جائع فغدوه ثم عاد من وقته إلى القراءة فقرأ فلان الحمصي فقال المأمون الحمصي ما كان في طعام بني العباس حلوا فأطعموه الحلوا فأطعم ثم عاد من وقته إلى القراءة فقرأ فما أسقط شيئا وعمرو بن مسعدة وأبو عبادة هؤلاء وزراؤه وقيل إنه لم يستوزر من بعد الفضل أحدا وإنما كان هؤلاء كتابا وصاحب حرسه وشرطته عبد الله بن طاهر وحاجبه شبيب بن حميد بن قحطبة ثم شبيب المروروذي وعبد الحميد بن شبيب ثم محمد وعلي ابنا صالح مولى المنصور ثم إسماعيل بن علي بن صالح ثم رجاء بن الضحاك ورشيد مولاه وقضاته محمد بن عمر الواقدي ثم محمد بن عبد الرحمن المخزومي ثم يحيى بن أكثم **نقش خاتمه** الملك لله وقيل الموت حق وقيل الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وعلى طابعه سل الله يعطيك وأول خطبة خطبها ببغداد بعد قتل أخيه الأمين سقطت العصا من يده فتطير الناس وفهم عنهم فقال ليس الأمر كما تزعمون إنما هو كما قيل وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر **ولما** استوثق له الملك قال هذا جسيم لولا أنه عديم وهذا ملك لولا أن بعده هلك وهذا سرور لولا أن بعده غرور وهذا يوم لو كان يوثق بما بعده وكان يقول سادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء وإن الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة طعام موضوع على قبر وإن البخيل لو كان طريقا ما سلكته أو قميصا ما لبسته **وكان يقول** أنا والله ألتذ بالعفو حتى أخاف أن لا أوجر عليه ولو علم الناس مقدار محبتي للعفو لتقربوا إلي بالذنوب **وكان يقول** إذا رفع الطعام من بين يديه الحمد لله الذي جعل أرزاقنا أكثر من أقواتنا ومن كلامه ولله في خلقه ابتلاءان ابتلاء بنعمة كلف صاحبها الشكر على مسرورها وإن ابتلاء بمصيبة كلف صاحبها الصبر على مكروهها قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون **ومن كلامه** إن الله تعالى حبب الدنيا إلى الخلق فتنازعهم إليها أهواؤهم وتنقلب إليها شهواتهم عزيزة

مركبة وجبلة مفطورة كالأسماع والأبصار يعثرون على وجودها في طبعهم ولكن يومن يجاهدة أنفسهم **وقال أيضا** الدين توأم السلطان واحد عماد به لا يقوم هذا إلا بهذا ولا يصلح هذا إلا بهذا ومن كلامه أيضا المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والموافقة توجب المرافقة والمضادة توجب العداوة واتباع الهوى يوجب الآفة وإخلافه يوجب الرأفة والصدق يوجب الثقة والكذب يوجب التهمة والأمانة توجب الطمأنينة والخيانة توجب المنافرة والعدل يوجب الاجتماع والجور يوجب الاختلاف وحسن الخلق يوجب المودة والكبر يوجب المقت والجود يوجب الحمد والبخل يوجب الذم والتواضع يوجب المحبة والتواني يوجب التضييع والجد يوجب الرجاء والهوينا توجب الحسرة والتعزز يوجب فساد المملكة وإهمال الرعية يوجب الاختلاف والاختلاف يوجب التباغي والتباغي مقدمات الفتن وسبب البوار ولكل شيء من هذا إفراط وتقصير وإنما تصح نتائجها إذا أقيمت على حدودها وعدلت على أقدارها والحزم الحزم كله أن يخدعك الشيطان عن الحزم فيتمثل لك التواني في صورة التوكل فيسلبك الحزم ويورثك الهوينا بإحالتك على الأقدار فإن الله تبارك وتعالى إنما أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل والرضا بالقضاء بعد الإعذار قال تعالى خذوا حذركم ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة **ومن كلامه أيضا** لا بد للإمام من ثلاث خصال الصدق والحلم ورحب الذرع ولا بد للوزير من ثلاث خصال من البصر بالسياسة ونبل الرأي والعلم بأوائل الأمور ولا بد لصاحب الحرس من ثلاث التيقظ والبصر بمواضع الخلل ومن أهل الغيلة وإذا وليت الوزير وزارتك فقد أطلعته على أسرارك وائتمنته على وثائق تدبيرك وأعطيته عز أزمة مملكتك فليكن عندك بين حالين يعتوران قلبه ويتصلان في نفسه من التخوف والثقة والتحرز والأنس سال وليكن تقتضيه أغلب الأمرين عليك في أمره غير أنك لا تخله من رقيب نظرك غير موجب تهمة ولا مدخل وحشة وفوض الأمر له واعتمد الإصدار عليه وعده بثلاث التواضع فإنه يزرع المحبة ولين الجانب فإن معه الأمن من التسلط والغلظة وطلاقة الوجه فإنه باب البشارة ومبسطة الناس إلى طلب الحاجة وأحسن الاختيار الذي توليه اختيارك فإنه طليعتك ورائدك

على موارد العدل والتكلف بتادية ما استحفظته من ودائع التبليغ وهو على مدرجة مستغلات المسلمين بالمامهم ولا تغزر الا عن خيانة ولا تقلل الا لكفاية وان اخذت المال من وجهه فوضعته في غير مستحقه اضغنت القلوب وتولدت الندامة **واعلم** انه فان رجل اصاب من المال ما لم يكن اهله ليبلغه الى طلب الراحة من الخدمة الى عز الاستخدام فليكن عطاياك بقدر الاستحقاق وعند الوجوب ومتبع فقه الاحوال في سهل المخرج وعند الاعطاء فان الاسراف والتقصير لقاحان نتاجهما الفتنة وانما سمي العدل عدلا لانه عند الطبائع علية **وكان** يقول اما بعد فان العراق ديون مقضية صاحبها منعم في بلية فلا تلزم فتنقلب عن غب رايك مليها الا مالك وبرت ولا عن ضجر وقيت وكان يقول قليل السفه يمحو كثير العلم وادنى الانتصار يخرج من فضل الاعتبار وعلى طالب المعروف المعرفة عند الامتناع والشكر عند الاصطناع وعلى المطلوب اليه تعجيل الوعود والاسعاف بالموجود **ولما دخل** العتابي على المامون قال له المامون خبرني بوفاتك فغمني ثم جاءتني وفادتك فسرتني فقال له العتابي لو قسمت هذه الكلمة على اهل الارض لوسعتهم وذلك انه لا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلني قال يداك بالعطية اطلق من لساني ودخل بعض الفقهاء على المامون بالرقة وهو مع الرشيد فبينما هو يحدثه اذ قال له اسمع مني ايها الامير فقال المامون هذا كلام حزوا بعده فاحزوا بعده حتى بلغ الرشيد فتمثل بهذا البيت

وهل ينبت الخطي الا وشيجه ... وتغرس الا في منابتها النخل

ودخل على المامون بعض الخوارج فقال له المامون ما حملك على الخلاف قال كتاب الله حيث يقول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال وما دليلك على انها منزلة قال الاجتماع قال له المامون كما رضيت بالاجتماع في التنزيل فارض به في التاويل فقال السلام عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته **ودخل** عليه الرشيد يوما وهو ينظر في كتاب فقال له ما هذا يا بني قال هذا كتاب يشحذ الفكرة ويونس العشرة فقال الرشيد الحمد لله الذي رزقني ذرية يرى بعين عقله اكثر مما يرى بعين جسمه **وقال**

المامون

المامون لا احد اولى ولا ادل وقد سمع منه لحنا ما على احدكم ان يتعلم العربية فيقيم بها اوده ويزيد بها مشهده ويفل بها حجج خصمه بمسكتات حكمه ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه ايسر احدكم ان يكون لسانه كلسان عبده او امته فلا يزال الدهر اسير كلمته **وذكر عبد الرحمن** بن عمر الفهري عن رجال سماهم قال امر المامون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال سماهم كانوا رموا بالزندقة عنده فحملوا فبينما احد الطفيليين مار اذ راهم مجتمعين يمضى بهم الى الساحل للمسير الى بغداد فقال ما اجتمع هولاء الا لوليمة فانسل معهم ودخل في جملتهم ومضى بهم المتوكلون الى البحر فاطلعوهم في زورق قد اعد لهم فقال الطفيلي لا شك انها نزهة فصعد معهم فعلم انه قد وقع في ورطة ورام الخلاص فلم يقدر ثم رفع الرحال وساروا الى ان وصلوا بغداد وحملوا حتى دخلوا على المامون فامر بضرب رقابهم فاستدعوا باسمائهم رجلا رجلا فكل من دعي ساله وامر بضرب عنقه حتى لم يبق الا الطفيلي وفرغت العدة **قال المامون** للموكلين بهم ما هذا قالوا والله ما ندري يا امير المومنين غير انا وجدناه مع القوم فجينا به فقال المامون ما قصتك ويلك فقال يا امير المومنين امراتي طالق ان كنت اعرف من اقوالهم شيئا ولا اعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رايتهم مجتمعين فظننت انهم يدعون الى وليمة او دعوة فالتحقت بهم فضحك المامون ثم قال بلغ من شوم التطفيل ان احل صاحبه هذا المحل قد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يودب بالسياط حتى يتوب قال وابراهيم بن المهدي حاضر يومئذ فقال يا امير المومنين هبه لي وانا احدثك بحديث عن نفسي عجيب قال قد وهبته لك هات حديثك قال يا امير المومنين خرجت يوما متنكرا امشي في سكك بغداد واستهواني التفرج وانتهى بي المشي الى موضع شممت منه روائح طعام وابازير قد فاحت وتاقت نفسي اليها ووقفت يا امير المومنين لا اقدر على المضي فرفعت بصري فاذا شباك ومن خلفه كف ومعصم ما رايت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت روائح الطعام بذلك الكف والمعصم واخذت في استعمال الحيلة في الوصول اليه فنظرت واذا خياط في قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يا سيدي لمن هذه الدار فقال

قف على حكاية ابرهيم بن المهدي

لرجل من البزازين قلت ما اسمه قال فلان بن فلان قلت اهو ممن يشرب الخمر قال نعم واحسب
ان اليوم عنده وليمة او دعوة وليس ينادم الا تجارا مثله فبينما نحن في الكلام اذ اقبل رجلان
نبيلان راكبان فقال هولاء ندماؤه فقلت ما اسماؤهم قال فلان وفلان فحركت دابتي فلحقتهما
وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما ابو فلان اعزه الله وسايرتهما حتى اتينا الباب
فدخلت ودخلا فلما راني صاحب المنزل معهما لم يشك اني معهما فرحب بي واجلسني في
افضل المواضع ثم جيء بالمائدة ونقل اليها الالوان فكان طعمهما يا امير المومنين
الدواء الطيب من ريحهما فقلت في نفسي هذه الالوان قد من الله علي ببلوغ الغرض منها وبقي
الكف والمعصم ثم جيء بالوضوء فغسلنا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا هو اشكل
مجلس والظرفة في سائر اموره وجعل صاحب المنزل يلطف بي ويقبل علي في الحديث لظنه
اني ضيف لاضيافه وهم على مثل ذلك يظنون ان اكرامه لي عن معرفة متقدمة وصداقة
حتى شربنا اقداحا فخرجت علينا جارية كانها غصن بان في غاية الظرف وحسن
الهيأة فسلمت غير خجلة وثنيت لها وسادة فجلست عليها واوتي بعود فاخذته
وجسته احسن جس واذا هي حاذقة فاندفعت تغني شعر

توهمها طرفي فاصبح خدها   وفيه مكان الوهم من نظري اثر
ومر بفكري شخصها فجرحته   ولم ار شخصا قط يجرحه الفكر
وصافحها قلبي فالم كفها   فمن لمس قلبي في اناملها عقر

فهيجت والله يا امير المومنين بلابلي وطربت لحسن شعرها وحذقها ومعرفتها
بالغناء ثم اندفعت وغنت

اشرت اليها هل عرفت مودتي   فردت بحسن اللحظ اني على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها   وحادت على الاظهار ايضا على عمد

قال فصحت السلاح وجاءني من الطرب ما لا املك معه نفسي وطرب القوم
ايضا طربا شديدا ثم غنت

يقولون اخف الهوى لا تبح به   وكيف وطرفي بالهوى يتكلم
الظلم طرفي ليس طرفي بظالم   ولكن من يهوى يجور ويظلم
شكوت اليها قصتي فتبسمت   فلم ار شمسا قبلها تتبسم

فقلت

فقلت لها جودي فابدت تجهما   لتقتلني يا حسنها اذ تجهم
وما انا من حبي لها بمعرض   ولكنني اخشى الوشاة فاكتم
اليس عجيبا ان بيتا يضمنا   واياك لا تخلو ولا تتكلم
سوى اعين تبدي سرائر انفس   وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارات افواه وغمز حواجب   وتكسير اجفان وكف يسلم

ثم حسنتها والله يا امير المومنين على حذقها ومعرفتها بالغناء واصابتها
معنى الشعر وانها لم تخرج من القول الذي ابتدات به فقلت قد بقي عليك يا جارية
شيء فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء فندمت
على ما كان مني ورايت القوم قد تنكروا لي فقلت في نفسي فاتني جميع ما املته
ان لم اتلاف قصتي فقلت اثم عود فقالوا نعم فاوتيت بعود مليح الصنعة فاصلحت
ما اردت فيه ثم اندفعت وغنيت

ما للمنازل لا تجيب حزينا   اصممن ام قدم المدا فبلينا
ان الذين غدوا بلبك غادروا   وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي   ماذا لقيت من الهوى ولقينا
راحوا العشية روحة مذكورة   ان متن متن وان حيين حيينا

قال فما استتممته يا امير المومنين حتى وثبت الجارية على رجلي تقبلها وتقول
معذرة اليك يا سيدي والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصنعة من احد
ثم زاد القوم في اكرامي وتبجيلي وطربوا غاية الطرب وشربوا بالطاسات فلما
رايت طربهم اندفعت وغنيت

ابالله لا تمسين لا تذكريني   وقد سجمت عيناي من ذكرك الدما
الى الله اشكو بخلها وسماحتي   لها عسل مني وتبذل علقما
فردي مصاب القلب انت قتلته   ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله اشكو انها اجنبية   واني لها بالود ما زلت مكرما

قال فرايت من طرب القوم شيئا حسبت انهم قد فارقوا عقولهم فامسكت حتى
راجعوا اليهم وهدات نفوسهم ثم اندفعت وغنيت

هذا محب مطوي على كمده ... أضحت مدامعه تجري على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته ... مما به ويد أخرى على كبده
يا من يرا كلفا مستهزيا دنفا ... كانت منيته في كفيه وبيده

قال فجعلت الجارية تصيح هذا والله هو الغناء لا ما نحن فيه وشرب القوم وسكروا وبقي في مسكة فأمر غلمانه بحفظ أصحابه وإيصالهم إلى مواضعهم فانصرفوا وخلوت معه وشربنا أقداحا ثم قال يا سيدي ذهب ما مضى من عمري هدرا إن لم أكن أعرف مثلك ولا أحاضر بيتنا فيشبهك فبالله يا مولاي من أنت لأعرف نديمي فأخذت أوري عليه وهو يقسم علي أن أعلمه من أنا على الحقيقة فوثب قايما على قدميه وقال لقد عجبت أن يكون هذا الفضل إلا لمثلك ولقد أسدى إلي الزمان يدا لا أقوم بشكرها ومتى طمعت أن تزورني الخلافة في منزلي وتنادمني ليلتي جمعاء ما هذا إلا في المنام فلا تممت ليلتي إلا أنا قايما بين يديك إذ كنت أحقر من أن أجالس الخلافة فأقسمت عليه أن يجلس فجلس ثم أخذ يسألني عن السبب في حضوري عنده بألطف معنى فأخبرته يا أمير المؤمنين بالقصة من أولها إلى آخرها وما سترت منها شيئا ثم قلت أما الطعام فقد نلت منه بغيتي فقال والكف والمعصم إن شاء الله تعالى ثم قال يا فلانة قولي لفلانة جارية عنده تنزل ثم جعل يستدعي واحدة واحدة يعرضها علي وأنا لا أرى طلبتي إلى أن قال والله ما بقي غير أمي وأختي ووالله لتنزلنهما فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداك ابدا بالأخت فإني أحتشم أن أنظر إلى كف والدتك قال حبا وكرامة ثم نزلت أخته فأرتني يدها فإذا هي التي رأيتها فقلت حسبك هذه الجارية فأمر غلمانه لوقته باستدعاء عشرة مشايخ سماهم لهم ثم قام فاستخرج بدرتين بعشرين ألف درهم وحضر المشايخ فقال لهم هذا سيدي إبراهيم بن المهدي يخطب إلى أختي فلانة وأشهدكم أني قد زوجتها له وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم فقلت قد رضيت وقبلت النكاح قال نعم فشهدوا علينا ثم دفع البدرة الواحدة إلى أخته والأخرى فرقها على المشايخ ثم قال اعذروا فهو ما حضر على هذا الحال فشكروا وودعونا وانصرفوا ثم قال يا سيدي أمهد لك بعض البيوت فتنام مع أهلك فأحشمني ما رأيت من كرمه وتذممت

أن أخلو بها في منزله فقلت بل أحضر عمارية وأحملها إلى منزلي فقال كيف شئت فأحضرت عمارية وحملتها فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل إلي من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا على سعتها فأولدتها هذا الغلام القايم بين يديك فعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال لله دره والله ما سمعت قط بمثلها فعلة ثم أطلق الطفيلي وأجازه وأمر إبراهيم بإحضار الرجل ليشاهده فأحضر بين يديه فاستنطقه فأعجب به وصار من جملة خواصه ومحاضريه

قال الواقدي كان إبراهيم بن المهدي قد ادعى الخلافة لنفسه بالري وأقام مالكها سنة وإحدى عشر أشهرا واثني عشر يوما وله أخبار كثيرة أحسنها عندي ما حكاه لي قال لما دخل المأمون الري وطلبني أشد طلب وجعل لمن أتاه بي مائة ألف درهم خفت على نفسي وتحيرت في أمري فخرجت من داري في وقت الظهر وكان يوما صايفا وما دريت أين أتوجه فمررت على وجهي حتى وقعت في زقاق لا ينفذ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون إن عدت إلى الأثر يرتاب بي فرأيت في صدر الزقاق عبدا أسود قايما على باب دار فتقدمت إليه وقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت إلى بيت عظيم نظيف فيه حصير ومخدة من جلود إلا أنها نظيفة ثم أغلق الباب علي ومضى فتوهمت أنه قد سمع الجعالة في وأنه خرج ليدل علي فبقيت على مثل النار قلقا فبينما أنا كذلك إذ أقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج إليه من خبز ولحم وقدر جديدة وآلتها وجرة جديدة وكيزان جدد فحط عن الحمال ثم التفت إلي وقال جعلني الله فداك أنا رجل حجام وأنا أعلم أنك تتقزز مني لما أتولاه من معيشتي فشأنك بما لم يقع عليه يدي وكانت بي حاجة إلى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر أني ما أكلت مثلها قط فلما قضيت أربي من الطعام قال هل لك في شراب فإنه يسلي الهم ويطيب الفم ويجيد النفس عن الغم فقلت ما أكره ذلك رغبة في أنسه فأتى بقدح جديد لم تمسه يد وجاءني بدن من شراب مطيب وقال لي روق لنفسك فروقت شرابا نهاية في الجودة وأحضر قدحا جديدا وفاكهة وأنقالا مختلفة في ظروف فخار جدد ثم قال بعد ذلك أتأذن لي أن أقعد حذاك يا سيدي جعلت فداك وآتي بنبيذي فأشرب منه سرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثلاثا

ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا مصلحا ثم قال لي يا سيدي ليس من قدرك ان اسألك ان تغني ولكن قد وجبت علي مروءتك حرمتي فان رأيت ان تشرف عبدك فان تغني لنفسك فافعل فقلت له من اين لك اني احسن الغنا فقال يا سبحان الله انت اشهر من ذلك الست خليفتنا بالامس الذي جعل المامون لمن دله عليك والتاه بك مائة الف درهم فلما قال ذلك عظمت همته ومروءته عندي وعلمت ان فتوته اجل مما بذل له في فتناولت العود وغنيت وقدمت بخاطري فراق اهلي وولدي فقلت

وعسى الذي اهدى ليوسف اهله ✽ واعزه في السجن وهو اسير
واثاب يونس اذ دعاه نجى على ✽ ذا النور بعد عوا الله وهو ضرير
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا ✽ والله رب العالمين قدير
فقال غن يا سيدي ✽
ان الذي عقد الذ انعقدت له ✽ عقد المكاره سوف يفرج حلها
فاصبر لعل الله يكشف ما نزل ✽ فلعلها ان تنجلي ولعلها

قال فغنيته ولم اكن احسن لحنه لكنني لحنته في الوقت وتهاونت به وحسن عندي ايراده فشرب وشربت فقال غن يا سيدي

فلا تجزع وان اعسرت يوما ✽ فقد ايسرت في الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر ✽ لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك غير خير ✽ فان الله اولى بالجميل

قال وكنت احيي به فغنيته وشرب فقال الله علي نذر ان انستني بغير بك وما كنت احسب ان الزمان يسمح بكونك في منزلي فان رأيت ان تغني فافعل فقلت ما اغني فقال ✽

واذا تنازعني نفوسا لها اصبري ✽ موت يريحك او علو المنبر
ما قد مضى يانفس فاصطبري له ✽ ولك الامان من الذي لم يقدر

قال فغنيته وحسن في نفسه اقتضاؤه وانس به واستظرفته ثم قال يا سيدي اتاذن لي ان اغني ما سمعت وان كنت من غير اهل هذه الصناعة فقلت هذه زيادة في ادبك ومروءتك فاخذ العود وتغنى

شكونا الى احبابنا طول ليلنا ✽ فقالوا لنا ما اقصر اليوم عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم ✽ سراعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا النوم المضر بذي الهوى ✽ جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما ✽ نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فوالله لقد احسست البيت سار بي وذهب كل ما كان بي من الهلع وسالته ان يغني فغنى

تعيرنا انا قليل عديدنا ✽ فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا ✽ عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم ما نرى القتل سبة ✽ اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا ✽ وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا ميت حتف انفه ✽ ولا طل منا حيث كان قتيل

قال فتداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه الى ان غلبني السكر واياه فلم استيقظ الا بعد المغرب فعاودني فكري في نباهة هذا الحجام وكيف اقتضاني من الغنا ما اراد ان يسليني به وعلمت ما فيه اشارة لتخصصه فقمت وغسلت وجهي بالماء وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير لها قيمة كثيرة فرميت بها اليه وقلت استودعتك الله فاني ماض من عندك واسألك ان تصرف هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي المزيد ان امنت من خوفي فاعادها الي منكرا وقال يا سيدي ان الصعلوك لا قدر له عندكم من ذوي الرياسات وتطمع فيه الظنون الردية اآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي ثمنا فالحجة عليه فاوما الى موسى له وقال والله لئن راجعتني في ذلك لاذبحن نفسي فخشيت عليه واعدت الخريطة الى كمي وقد اثقلني حملها فلما انتهيت الى باب داره معولا على المضي من عنده قال لي يا سيدي ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس في مؤنتك ثقل فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسألته ان ينفق من تلك الخريطة وكان في كل يوم يفعل مثل ما فعله في يوم حلولي به فاقمت عنده اياما في اطيب عيش فتذممت من الاقامة في مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقد مضى يجدد لنا حالا فقمت وقد تزينت بزي النساء

بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف امر شديد وجيت لاعبر الجسر فاذا انا بموضع زلق قد رش بالماء فبصر بي جندي ممن كان يخدمني فعرفني فقال هذه حاجة المامون وتعلق بي فمن حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما في ذلك الزلق فصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت باب دار وامراة في دهليزه فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل خايف فقالت على الرحب واطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت ليهدا روعك فما يعلم مخلوق بك عندي ولو اقمت سنة فبينما هي معي في ذلك واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب فاذا بصاحبي الذي دفعته على الجسر مشدود الراس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت له يا هذا ما دهاك فقال لها ان حديثي لعجيب ظفرت بالغنا وانفلت مني قالت وكيف ذلك قال ابراهيم بن المهدي لقيته وكلفته فدفعني والقى بي في الجسر فاصابني ما ترى فانفلت مني ولو كنت حملته الى المامون لعجل لي مائة الف درهم فاخرجت له حراما وعملته في جرحه وعصبته وفرشت له في القاعة ونام عليلا وطلعت لي وقالت لي اظنك صاحب القصة قلت نعم قالت لا باس عليك ثم جددت لي الكرامة واقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت لي اني خايفة عليك من هذا الرجل ليلا يطلع على امرك فينم بك فانج بنفسك فسالتها امهالي الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فاتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما راتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي وخرجت كانها تريد السوق للاهتمام في الضيافة وظننت خيرا فما شعرت الا بابراهيم الموصلي بخيله ورجله وحبشته والملاة معه حتى سلمتني اليه فرايت الموت عيانا وحملت بزيي الى المامون فجلس مجلسا عاما وادخلني اليه فلما قمت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لي لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك فقلت على رسلك يا امير المومنين ان ولي الثار يحكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى ومن تناوله يد الاغترار بما امد له من اسباب الرجا امن عادية الدهر وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل كل ذنب دون عفوك فان تاخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم انشدت

ذنبي

ذنبي اليك عظيم * وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا * واصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالي * من الكرام فكنه

فرفع راسه الي وقال فبدرت وقلت له

اتيت ذنبا عظيما * وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن * وان اخذت فعدل

فرق لي المامون واستروحت روايح الرحمة في شمايله ثم اقبل على اخيه ابي اسحاق المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته فقال ما ترون في امره فكل اشار بقتله الا انهم اختلفوا في القتلة كيف تكون فقال المامون لاحمد بن ابي خالد ما تقول يا احمد فقال يا امير المومنين ان قتلته وجدت مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم تجد مثلك عفا عن مثله فنكس المامون راسه وجعل ينكت باصبعه في الارض وقال متمثلا بقول الشاعر

قوم هم قتلوا اميم اخي * فاذا رميت يصيبني سهمي
فاذا عفوت لاعفون جللا * ولين سطوت لاوهنن عظمي

فكشفت المقنعة عن راسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت والله لقد عفا عني امير المومنين فقال المامون لا باس عليك يا عمي فقلت ذنبي يا امير المومنين اعظم من ان انطق به بشكر ولكني اقول

ان الذي خلق المكارم حازها * في صلب ادم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منه مهابة * ويظل يكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن اهلا له * عفوا ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اطفالا كافراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع
رد الحياة علي بعد ذهابها * كرم الملوك القادر المتواضع

فقال المامون قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت رددت مالي ولم تبخل علي به * وقد ردك مالي قد حقنت دمي * وقام علمك بي فاحتج عندك لي * مقام شاهد عدل غير متهم * فبت عندك وقد خولتني نعما

فما الخسار من موت ومن عدم ● فلو بذلت دمي ابغي رضاك به ● والمال حتى
اسل النعل من قدم ● ما كان ذاك سوى عارية رجعت ● اليك لولم تعرها
كنت لم تلم ● فان جحدت يدي ما اوليت من نعم ● اني الى اللوم اولى منك بالكرم ●
فقال المامون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وامر لي بمال وخلع وقال يا ابراهيم
ان ابا اسحاق والعباس اشارا بقتلك فقلت انهما لك نصحا يا امير المومنين ولكن ابيت
الا ما انت اهله ودفعت بما رجوت فقال المامون قد مات حقدي بحياة عذرك وعفوت
عنك واعظم عفوي عنك مرارات امتنان الشافعين ثم سجد المامون طويلا
ثم رفع راسه وقال يا ابراهيم اتدري لم سجدت فقلت شكرا لله الذي اظفرك بعدوك
فقال ما اردت هذا ولكن شكرا لله على ما الهمني من العفو عنك فحدثني الان حديثك
فشرحت له صورة امري وما جرى لي مع الحجام والجندي وامراته والمولاة التي اسلمتني فامر
المامون باحضارها وهي في دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع
انعام ابراهيم واهله عليك قالت رغبة في المال قال لها هل لك ولد او زوج قالت لا
فامر بضربها مائتي سوط وخلدها السجن ثم احضر الجندي وامراته والمزين فاحضروا
وسال الجندي عن السبب الذي حمله على ما صنع فقال له الرغبة في المال فقال له المامون
انت اولى ان تكون حجاما من ان تكون من اوليائنا ووكل به من يلزمه الجلوس في دكان
الحجام لتعلم الحجامة واستخدم زوجته وقال هذه امراة عاقلة اديبة تصلح للمهمات
ثم قال للحجام لقد ظهرت من مروءتك ما يجب معه المحافظة عليك وسلم اليه
دار الجندي ودابته وخلع عليه واثبته من رزقه وزيادة الف دينار في كل سنة ولم يزل في
الى ان مات **اخبار احمد بن يحيى** المكي قال كان اسحاق الموصلي
يكثر مدح البرامكة ويكثر في الثناء عليهم فحضر ذات يوم مجلس الفضل
بن الربيع واجرى ذكر البرامكة وكان ذلك يقبض الفضل ويبلغ منه كل مبلغ
فقال بعض من حضره لاسحاق اما تنفك عن ذكر هولاء القوم وتقلع عن ذلك ولكن في الثناء
على الوزير ما تبلغ به اعلى المراتب وتحل من نفسه ارفع محل فامسك الفضل عن الكلام
اعجابا بما خوطب به اسحاق فقال اسحاق اما البرامكة وحبي لهم وملازمتي فيهم
وثنائي عليهم فاشهر من ان اجحده وذلك والله اقل ما يستحقونه مني ثم اقبل على الفضل

وقد

وقد غاضه مدحه لهم فقال لنعم اسمع مني شيئا مما فعلوا فليس هو من صنائعهم
عندي ولا عند ابي قبلي فان وجدت لي في ذلك عذرا والا فلم كنت في ابتداء امري نازلا
في دار لي معه وكان لا يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواري وجواريه الخصومة كما
تجري بين هولاء الطبقات فيشكوهم اليه فاتبين الشكر والضجر في وجهه فاستاجرت
دارا بقربه وانتقلت اليها انا وجواري وغلماني وكانت دارا واسعة فلم ارض
ما عندي من آلة لها ولا من يدخل الي من اخواني ان يروا مثله عندي فبقيت في ذلك
وكيف اصنع فيه وزاد فكري الى ان خطر ببالي في الاحزونة من نزول مثلي في دار
باجرة وانا ابن من موقف ان يستاذن علي وعندي من حشمه ولا اعلم حالي فضاق
بذلك صدري ضيقا شديدا حتى جاوز الحد فامرت غلماني ان يسرجوا لي حمارا كان عندي
لامضي الى الصحراء اتفرج فيها مما دخل في قلبي فاسرجوه ولبست رداء ونعلا وركبت
فافضى بي وانا مفكر لا ابين الطريق التي اسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى
ابن خالد فوثب غلمانه الي وقالوا الى اين هذه الركبة فقلت الى الوزير اعزه الله
فدخلوا فاستاذنوا لي في الدخول فدخلت وبقيت خجلا قد وقعت في امرين قبيحين
ان دخلت عليه بردائي ونعلي واعلمته اني قصدته في تلك الحال كان سوء ادب
وان قلت له اني مجتاز ولم اقصدك فجعلتك طريقا كان قبيحا ثم عزمت على
صدقه فلما راني تبسم وقال ما هذا الزي يا ابا محمد نحسبنا لك بالبر والفكر والتفقد
ثم علمنا انك جعلتنا طريقا فقلت كلا والله ايد الله الوزير والله لاصدقنك قال هات
حديثك فاخبرته بالقصة من اولها الى اخرها فقال هذا حق تشغل قلبك بهذا
يا غلام ردوا له حماره وهاتوا له خلعة فجاوني بخلعة تامة فلبستها ودعى
بالطعام فاكلت ووضع النبيذ فشربت وغنيته ودعى في وسط ذلك بدواة
وكتب اربع رقاع ظننت ان بعضها توقيع لي بجائزة ثم دعى بعض وكلائه
فدفع اليه الرقع وساره بشيء فزاد طمعي في الجائزة ومضى الرجل وجلسنا
نشرب وانا انظر فلم ار شيئا الى العتمة ثم اتكى يحيى فنام وقمت من عنده وانا
منكسر خائب فخرجت وقدم الي حماري فركبته وسرت فلما تجاوزت الدار قال لي
غلامي الى اين تمضي قلت الى الدار قال لي والله لقد بيعت دارك وابتيع الدرب كله

واشهد على اصحابها ووزن الثمن والمشتري جالس على بابي ينتظرك ليقبض فك والضنه ابتاع ذلك لي الى السلطان لاني رايت الامر في عجلة واستخفافه امر سلطانه فوقعت من ذلك في امر عظيم لم يكن في حسابي وسهرت وانا لا ادري ما اعمل فلما نزلت على باب داري اذا انا بالوكيل الذي سار لي يحيى قد قام الي فقال ادخل دارك ايدك الله حتى ادخل في امر احتاج فيه الى مخاطبتك فطابت نفسي فدخلت ودخل الي فاقراني توقيع يحيى بخطه لابي محمد اسحاق ومايتي الف درهم تبتاع بها دارا وجميع ما يجاورها ويلاصقها والتوقيع الثاني الى ابنه الفضل قد امرت لابي محمد اسحاق ومائة الف درهم يبتاع بها دارا فالطولة مائة الف درهم اخرى لينفقها على اصلاح الدار كما يريد وبناؤها على ما يشتهي والتوقيع الثالث كاتبه جعفر قد امرت لابي محمد اسحاق بمائة الف درهم وامر له اخوك بمثلها ينفقها على بنائها ومتها على ما يريد فالطولة بمائة الف درهم يبتاع بها فرش المنزل والتوقيع الرابع الى ابنه محمد قد امرت انا واخواي بكذا وكذا فامر له انت بمائة الف درهم يصرفها في ساير نفقته وقال لي الوكيل قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بتسعين الف وهذه الكتب بالابتياعات باسمي والاقرار لك وهذا المال بورك لي فيه فقبضته واصبحت احسن حال من ابي في منزلي وساير فرشي والاتي ولا والله هذا من اكبر شيء فعلوه في اقلام على شكرهم **حدث واقد بن محمد** الواقدي قال حدثنا ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء اما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء فهو الذي يمنعك تبليغنا ما انت فيه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم تكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث احب الي من الجائزة **قال محمد** بن عباد المهلبي دخل ابي

على المامون

على المامون فوصله بمائتي الف درهم فلما قام من عنده تصدق به فاخبر المامون بذلك فلما عاد اليه عاتبه في ذلك فقال يا امير المومنين منع الموجود من سوء الظن بالمعبود فوصله بمائتي الف اخرى **قال روح بن مقاتل** لما زفت بوران بنت الحسن بن سهل الى المامون كتب اليه حطيئة عربية وهي تقول

انعم تخطتك عيون الردا ⁂ بزف بوران مع الدهر
بيضة خدر لم يزل نجمها ⁂ بنجم مامون الورى يجري
حتى استقر الملك في حجرها ⁂ فوزك من ذلك في حجر
فيا سبري لا نشر عمري وما ⁂ نطلب شيئا غير ما تذر

قال فوقفت بوران على الرقعة فعرفت ما تريد ثم قالت يا امير المومنين انعم في حراذو في زفافها اليك فهو والله مكافاتها على شعرها فقال ذلك اليك ففعلت فزفت معها وسر المامون بما اجتمع له من الالفة بين زوجته وحظيته **قال الاصمعي** قصدت في بعض الايام رجلا كنت اغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعني من الدخول عليه ثم قال والله يا اصمعي ما اوقفني على بابه لامنع مثلك الدخول عليه الا لرقة حاله وقصور يده فكتبت اليه رقعة يقول فيها

اذا كان الكريم له حجاب ⁂ فما فضل الكريم على اللئيم

فعادت الرقعة وقد وقع على ظهرها

اذا كان الكريم قليل مال ⁂ تستر بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لاتحفن امير المومنين بهذا الخبر فجيت اليه فلما راني قال لي من اين يا اصمعي فقلت من عند رجل اكرم الاحياء حاشا امير المومنين بهذا الخبر فجئت اليه فلما راني قال لي من اين يا اصمعي فقلت من عند رجل اكرم الاحياء حاشا امير المومنين قال ومن هو قلت رجل فوالي ماله وعامه ثم دفعت اليه الرقعة والصرة واعدت عليه الخبر فلما راى الصرة قال هذه ختم بيت مالي ولا بد لي من الرجل الذي دفعها اليك فقلت والله يا امير المومنين لقد استحيي ان اروعه برسلك فقال لبعض خواصه امض اليه مع الاصمعي

فإذا أنا الرجل فقال له أجب أمير المؤمنين من غير انزعاج ولا إظهار شدة فلما حضر الرجل بين يدي المأمون قال له أما أنت الذي وقفت بموكبنا وشكوت إلينا رقة حالك وأن الزمان قد أناخ عليك بكلاكله فبعثنا إليك هذه الصلة لتصلح بها حالك فقصدت الأصمعي ببيت واحد فدفعتها إليه فقال والله ما كذبت فيما شكوت لأمير المؤمنين من رقة الحال وصعوبة الزمان لكني استحييت من الله أن أعبر فاصرف ما كان أعاذني به أمير المؤمنين فقال المأمون لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ثم أمر له بألف دينار **قال الأصمعي** فقلت له ألحقني به يا أمير المؤمنين فتبسم وأمر أن يكمل لي ألف دينار وأعاد الرجل من جملة ندمائه **حكي عن المأمون** أنه قال حججت سنة فلما صرت بصوراء أحببت أن أدخل دير المجانين فأرى من فيه منهم فلما دخلته رأيت شابا حسن الوجه نظيف الثوب فسلمت عليه فقال هل تحسن النحو قلت أحسن منه ما أصلح به لساني قال فهل تروي الشعر قلت نعم قال فأنشدني فأنشدته لأبي العتاهية

أذاب الهوى جسمي ولحمي وقوتي ◦ ولم يبق إلا الروح والجسد النضو ◦
رأيت الهوى جمر الغضا غير أنه ◦ على كل حال عند صاحبه حلو ◦

قال فخر مغشيا عليه فسألت عن قصته فعرفت أنه من بني تميم هو وابنة عم له وهوته هي فسعي بينهما حتى نزعت منه فوسوسا جميعا وها هي في الدير الآخر موسومة فمضيت حتى دخلت عليها فلما رأتني تنفست الصعداء ثم قالت إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون فسألتني من أين أقبلت فقلت من الدير وعرفتها حال الفتى فبكت ثم قالت

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى ◦ لئن غبت عن عيني فما غبت عن قلبي
ليوهمني الشوق حتى كأنما ◦ أناجيك من قرب وإن لم تكن قربي

قال فدعى المأمون المتطببين وأمر بعلاجهما حتى برئا وزوج الفتى منها وأجرى عليهما ما يحتاجان إليه وكانا في جملة حاشيته حتى ماتا رحمهما الله **أخبر إبراهيم بن المهدي** عن أبيه قال غضب علي الأمين في بعض هناته فسلمني إلى كوثر فحبسني في سرداب وأغلق علي فمكثت فيه ليلتين فلما

أصبحت

أصبحت إذ بشيخ قد خرج علي من زاوية السرداب فدفع إلي وسطا وقال كل فأكلت ثم أخرج إلي قنينة من شراب فشربت ثم قال لي غرني فغنيته

لي مدة لا بد أبلغها ◦ معلومة فإذا انقضت مت
لو ضاورتني الأسد ضاربة ◦ لغلبتها ما لم يجي الوقت

قال فسمعني كوثر فسار إلى محمد وقال هو جالس يغني بكيت وكيت وأمر بإحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة فرضي عني وأمر لي بسبعمائة ألف درهم **حدثني طلحة** بن محمد بن جعفر الشاهد الكاتب قال حدثني أبو حسان الزيادي قال ضقت ضيقة شديدة بلغت فيها الغاية حتى ألح علي القصاب والخباز وسائر المعاملين ولم تبق لي حيلة وإني لفي يوم من الأيام على تلك الحال وأنا مفكر فيما أحتال به وكيف أعمل إذ دخل علي حاجبي فقال لي غلام يستأذن بالباب فقلت ائذن له فدخل خراساني فسلم وقال ألست أبا حسان قلت نعم فما حاجتك قال أنا رجل غريب وأريد الحج ومعي جملة مال وهو عشرة آلاف درهم وقد أحضرتها في بدرة معي وأنا محتاج أن تكون قبلك إلى أن أقضي حجي وأرجع واخترتك إذ كنت عني بهذا البلد أعرف بها أحدا فقلت هات البدرة فأحضرها وأخرج بعد أن وزن ما فيها وختمها فلما خرج فضضت خاتمها على المكان ثم أحضرت المعاملين فقضيت كل من كان له علي دين واتسعت وأنفقت وقلت أضمن هذا المال الخراساني إلى أن يأتي الله بالفرج من عنده فكنت يومي في ذلك سعة وأنا لا أشك في خروج الخراساني الحاج فلما أصبحت من غد ذلك اليوم دخل الغلام فقال الخراساني الحاج الذي كان عندك أمس بالباب يستأذن فقلت ائذن له فلما دخل قال إني كنت عازما على الخروج ثم ورد علي خبر وفاة أبي وقد عزمت على الخروج إلى بلدي فأمر لي بالمال الذي أعطيتك فورد علي أمر لم يرد علي مثله قط وتحيرت ولم أدر بما أجيبه وفكرت وقلت ماذا أقول للرجل إن جحدته استحلفني فكانت الفضيحة في الدنيا والآخرة وإن دفعته صاح وهتكني فقلت له نعم عافاك الله منزلي هذا ليس بالحريز ولما أخذت مالك وجهته

الى من يحفظه فنعود في غد لناخذه فانصرف وبقيت متحيرا لا ادري ما اصنع وغلظ
علي الامر وادركني الليل وفكرت في بكور الخراساني فلم ياخذني النوم ولا قدرت
على الغمض فقمت الى الغلام فقلت له اسرج البغلة فقال يا مولاي هذه العتمة بعد
وما مضى من الليل شيء فالى اين تمضي فرجعت الى فراشي فاذا النوم ممتنع فلم ازل
اقوم الى الغلام وهو يردني حتى فعلنا ذلك مرارا وانا لا ياخذني قرار وطلع الفجر
واسرج البغلة وانا افكر وهي تسير بي حتى بلغت الجسر فعدلت بي اليه فتركتها
فعبرت ثم قلت الى اين اعبر الى اين امضي ولئن رجعت وجدت الخراساني على
بابي منتظرا لي ولكني ادعها تمضي حيث شاءت فمضت البغلة فلما عبرت
الجسر اخذت يمنة ناحية دار المامون فتركتها ومرت ولم ازل كذلك الى قريب
من دار المامون والدنيا علي مظلمة واذا فارس تلقاني فنظر في وجهي ثم سار
وتركني ثم رفع راسه الي وقال لي الست ابا حسان الزيادي فقلت بلى فقال بعثت
اليك فقلت وما تريد يرحمك الله ومن بعثك فقال الامير الحسن بن سهل فقلت في نفسي
وما يريد الامير الحسن مني فقلت فها انا امضي بنا اليه فمضى معي حتى استاذن لي عليه
فدخلت فقال يا ابا حسان ما خبرك وكيف حالك ولم انقطعت عنا قلت لاشياء
وذهبت لاعتذر فقال دع عنك هذا انت في لوثة او في امر فشرحت له قصتي الى ان
لقيني صاحبه ودخولي عليه فقال لي لا يغمك الله يا ابا حسان قد فرج الله عنك
هذه بدرة الخراساني مكان بدرته وبدرة اخرى لك تتسع بها فاذا نفدت اعلمنا
فرجعت من ساعتي وقضيت الخراساني ماله واتسعت وفرج الله عني فلله الحمد
والمنة **وحدثني هذا الحديث ايضا** ابو الفرج محمد بن جعفر
ولد صالح صاحب المصلى قال حدثنا ابو القاسم علي بن محمد بن ابي حسان
الزيادي وكان محدثا ببغداد مشهورا ثقة قال حدثني ابي عن ابيه قال كنت
وليت القضاء من قبل ابي يوسف القاضي ثم صرفت وتعطلت سنين فضقت ضيقة
شديدة وركبني دين فادح لخباز وقصاب وبقال وعطار وبزاز وغيرهم حتى
قطعوا معاملتي لكثرة ما لهم علي ويأسهم من ان اقضيهم فتضاعفت
اضافتي واشتدت حيرتي فانا يوما في مسجد قد صليت باهله الغداة ثم انفتلت

ندرس

ندرس اصحاب الفقه اذ جاءني رجل خراساني وذكر الحديث على نحو ما ذكره **قال**
ابو الفرج في حديثه فلما بلغ في حمار الى مربعة الحرشي استقبلني موكب فيه مهرجان
والنفاطات قد اضاءت بها الطرق فصارت كالنهار فطلبت زقاقا استخفي فيه حتى
يجوز الموكب فلم اجد فاذا رجل من الموكب يقول لي ابو حسان والله وتاملت فاذا هو
دينار بن عبد الله فسلمت عليه فقال لي ارسل الي امير المومنين الساعة وامرني ان اركب
بنفسي واحضرك اياه فسرت معه الى المامون فقال لي المامون اخبرني قصتك فاني رايتك
البارحة في منامي وامرني النبي صلى الله عليه وسلم باغاثتك قال فحدثته حديثي
فقال المامون اعطوا ابا حسان ثلاث بدر وولاني الري وامرني بالخروج قال فعدت الى
منزلي وما طلع الفجر فلما كان وقت صلاتي في مسجدي خرجت فاذا بالخراساني
فلما قضيت الصلاة ادخلته البيت واخرجت البدر فلما راها قال ما هذا فقصصت
عليه الحديث واعطيته بدرة منها فاخذها وانصرف **وذكر محمد**
بن عبدوس في كتاب الوزراء في اخبار دينار وانه لقي ابا حسان في الطريق فقال له وسعت
علي عيالنا فذكرت عيالي فامرت لك عشرة الاف درهم فاخذها ورجع
من الطريق وبلغ ذلك الخراساني فاعطاه اياها كلها لانه كان انفق جميع مال الخراساني
ثم عاد الى دينار من غد يشكو له وعرفه الحديث فقال فكانك انما قضيت الخراساني
ماله ثم امر له بعشرة الاف اخرى ولم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكرا في المنام
وحدثني ابي بهذا الحديث في المذاكرة قال حدثني شيخ ذكره وانسيته انا عن ابي
حسان بنحو ما ذكره محمد بن جعفر الا انه قال فيه ان الخراساني قال لابي حسان ان رجع
الحاج ولم تردها فاعلم اني قد هلكت والبدرة لك ومتى رجعت فهي لي ثم تقارب
لفظ الحديثين الى ان لقيه في الجانب الشرقي في قوم فلما راهم تنحى عن الطريق فلما راه
بطيلسان بادروا اليه وقالوا له اتعرف منزل رجل يقال له ابو حسان فقال انا هو فقالوا اجب
امير المومنين فدخل على المامون فقال له من انت قال رجل من اصحاب يوسف القاضي
ونعرف بابي حسان قال فضحك وشرحت له خبري قال فبكى بكاء شديدا وقال
ويحك ما تركني رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة انام بسببك اتاني في اول الليل
فقال لي اغث ابا حسان فانتبهت ولم اعرفك فاغفلت السوال عنك واثبت اسمك

ونسبحي ونمت فأتاني وقال كمقالته وانتبهت مزعجا ثم نمت فأتاني فقال ويحك أغث
أبا حسان فما تجاسرت على النوم وأنا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثثت الناس في طلبك ثم
أعطاني عشرة آلاف أخرى وقال اتسع بهذه وأصلح أمرك واعمر دارك واشتر مركبا سريا
وثيابا حسنة وعبيدا يمشي بين يديك ثم أعطاني ثلاثين ألف درهم وقال جهز
بناتك بهذه وزوجهن وإذا كان في يوم الموكب فأتني حتى أقلدك عملا وأحسن إليك
قال فخرجت والمال محمول معي فجئت إلى المسجد وصليت الغداة والتفت وإذا الخراساني فأدخلته
البيت وأعطيته بدرة فلما رآها قال ليس هي غير مالي قلت نعم وقصصت عليه
القصة فبكى وقال والله لو صدقتني في أول الأمر ما طالبتك وأنت في حل مني فانحى ف
وأصلحت أمري فلما كان يوم الموكب بكرت إلى باب أمير المؤمنين فدخلت عليه
وهو جالس جلوسا عاما قال فلما مثلت بين يديه استدناني ثم أخرج عهدا من تحت
مصلاه وقال هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربي من مدينة السلام
وقد أجريت عليك كذا وكذا في كل شهر فاتق الله تعالى تدم لك عناية رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فعجب الناس من كلامه وسألوني فأخبرتهم الخبر قال فما
زال أبو حسان قاضيا إلى أن مات في أيام المأمون **حدث حماد**
بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني أبي قال غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار
الخلافة والخدمة فيها فخرجت وركبت بكرة وعزمت على أن أطوف الصحراء
وأتفرج فقلت لغلماني إن جاء رسول الخليفة فعرفه أني بكرت في مهم لي وأنكم
لا تعرفون أين توجهت قال ومضيت فطفت ما بدا لي وعدت وقد حمي النهار فوقفت
في شارع المخرم في فناء حسن الظل وجناح رحب على الطريق لأستظل فيه فلم ألبث
أن جاء خادم أسود يقود حمارا فارها عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقي وعليها
من اللباس الفاخر ما لا غاية وراءه ورأيت لها قواما حسنا وطرفا فاترا وشمائل ظريفة
فحدست أنها مغنية فدخلت الدار التي كنت فيها عليها وعلقها قلبي في الوقت
علوقا شديدا لم أستطع منه البراح فلم ألبث إلا يسيرا حتى أقبل رجلان شابان
لهما هيئة تدل على قدرهما راكبان فاستأذنا فأذن لهما فحملني ما قد حصل في قلبي
من حب الجارية وإيثار علم حالهما والتوصل على أن نزلت معهما ودخلت بدخولهما

فظنا أن صاحب الدار دعاني وظن صاحب الدار أني قد جئت معهما وجلسنا وأوتي بالأكل فأكلنا
وبالشراب فوضع وخرجت الجارية وفي يدها عود فرأيت جارية حسناء وتمكن ما في قلبي
منها فغنت غناء صالحا وشربنا وقمت للبول فسأل صاحب المنزل الرجلين عني فأخبراه
أنهما لا يعرفاني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريف فأجملوا عشرته وجئت وجلست
فغنت الجارية في لحن لي فقالت

ذكرتك أن مرت بنا أم شادن ∴ أمام المطايا تشرئب وتسنح
من المولفات الرمل أدماء حرة ∴ شعاع الضحى في متنها يتوضح

فأدته أداء صالحا وشربت ثم غنت أصواتا فيها من صنعتي فقالت

الطلول الدوارس ∴ فارقتها الأوانس
أوحشت بعد أهلها ∴ فهي قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح من الأول ثم غنت أصواتا من القديم والمحدث وغنت في أضعافها من صنعتي

قل لمن صد عاتبا ∴ ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أردت ∴ وإن كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت ∴ وإن كنت كاذبا

فكان أصلح ما غنت فاستعدته منها لأصححه لها فأقبل علي رجل منهم
فقال ما رأيت طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا تصديق
المثل طفيلي يقترح فأطرقت ولم أجبه وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف
ثم قاموا للصلاة وتأخرت وأخذت عود الجارية فشددت طبقته وأصلحته
إصلاحا محكما وعدت إلى موضعي فصليت وعادوا فأخذ ذلك الرجل في عربدته
علي وأنا ساكت ثم أخذت العود تغني فجسته فأنكرت حاله وقالت من
مس عودي فقالوا ما مسه أحد قالت بلى والله قد مسه حاذق متقدم وشد
طبقته وأصلحه إصلاح متمكن من صناعته فقلت لها أنا أصلحته قالت فبالله
عليك خذه واضرب فأخذته فضربت مبدأ ضربا عجيبا صعبا فيه نقرات متحركة
فما بقي منهم أحد إلا جلس بين يدي وهو يقولون بالله يا سيدي أتغني قلت نعم وأعرفكم

بنفسي ايضا انا اسحاق بن ابراهيم الموصلي ووالله اني لاتيه على الخليفة وانتم تسمونني
منذ هذا اليوم بغيض لاني تملحت معكم بسبب هذه الجارية ووالله لا نطقت بحرف
ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغث ونهضت لاخرج
فعلقوا بي فلم اعرج وعلقت بي الجارية فعلقت بها فلنت لها وقلت لا اجلس حتى يخرج
هذا المقيت فقال صاحبه من هذا وشبهه حذرت عليك فاخذ يعتذر فقلت لهم
اجلس ولكن لا انطق بحرف وهو حاضر فاخرجوه فبعدان فغنيت الاصوات التي
غنتها الجارية من صنعتي فطرب وطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال لي في امر
اعرضه عليك فقلت ما هو قال تقيم عندي شهرا والجارية والحمار لك مع ما عليه
من حلية وللجارية من كسوة فقلت افعل فاقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف احد اين انا
والمامون يطلبني في كل وقت فلا يعرف لي خبرا فلما كان بعد ثلاثين يوما سلم الي الجارية
والحمار والخادم فجيت بذلك الى منزلي وهم في اقبح صورة لفقدي وركبت الى المامون
من وقتي فلما رآني قال اسحاق ويحك اين كنت فاخبرته بخبري فقال علي بالرجل
الساعة فدللتهم على بيته فاحضر فساله المامون عن القصة فاخبره فقال
انت رجل ذو مروءة وسبيلك ان تعان عليها وامر له بمائة الف درهم وقال لا تعاشر
ذلك النذل البتة فقال معاذ الله يا امير المومنين وامر لي بخمسين الف درهم وقال
احضر الجارية فاحضرته اياها فغنته فقال قد جعلت عليها نوبة تغني في كل
يوم ثلاثا من وراء الستارة وامر لها بخمسين الف درهم قال اسحاق فجيت والله بتلك
الركبة وربحت فيها والحمد لله على كل حال **قال مسرور**
الكبير استدعاني المامون وقد قال كثروا على اصحاب السرار شيخا يأتي خرب البرامكة
فيبكي وينتحب طويلا وينشد شعرا يرثيهم به وينصرف فاركب انت ودينار بن عبد الله
واستترا بالجدار فاذا جاء الشيخ فامهلاه حتى تشاهدا ما يقول فاذا اراد الانصراف
فاقبضا عليه واتياني به فركبت انا ودينار مغلسين فاتينا الموضع فتخفينا
فيه وابعدنا الدواب فلما اصبحنا واذا بخادم اسود قد اقبل ومعه كرسي حديد
فطرحه وجاء على اثره رجل بهي كهل فجلس على الكرسي وتلفت فلما لم ير احدا
بكى وانتحب حتى قلنا فارق الدنيا ثم مسح عينيه وانشا يقول

ولما رايت

ولما رايت الموت جل جعفرا ونادى منادي الخليفة في يحيى

وذكر ابياتا طويلة لم تدخل في كتابي هذا فاروبها قال فلما قبضنا عليه قال
ما تريدان فقلت هذا دينار بن عبد الله وانا مسرور خادم امير المومنين وهو يستدعيك
فقال لي لا آمنه على نفسي فامهلاني حتى اوصي فقلت شانك فسار وانا معه حتى
اتى بعض دكاكين العلافين فيربع صفة الفيل واستدعى دواة وقرطاسا وكتب فيها
وصيته ودفعها الى الخادم الذي كان معه وانفرد الى منزله وسرته حتى اتيت به
دار الخلافة فلما مثل بين يدي الخليفة زجره واستهاله ثم قال له من انت وبم استحق
منك البرامكة ما تصنع فقال غير هايب ولا محتشم يا امير المومنين حدثته
باحداها قال هات حديثك فقال انا المنذر بن المغيرة الدمشقي عند امير المومنين
من ذوي الحسب فيها نشات في ظل نعمة قديمة فزالت عني كما تزول النعم
عن اربابها حتى افضيت الى مسقط راسي ورؤوس ابائي واملقت حتى لا غاية
في بعد ذلك فاشير علي بقصد البرامكة فخرجت من الشام الى بغداد ومعي نيف
وعشرون امراة وصبية وصبي فدخلت بهم مدينة السلام فانزلتهم في مسجد
ثم عمدت الى ثويبات كنت اعددتها للقاء الناس فلبستها وسلكت الطريق
لا ادري اين اسلك ولا اين اقصد وخليت عيالي في المسجد جياعا لا حيلة لهم ولا نفقة
معهم ولا لهم ما يباع ولا ما يرهن فافضيت الى مسجد مزخرف فيه جمع شيوخ
باحسن زي واجمل هيئة فطمعت في مخالطتهم وصعدت الى المجلس فجلست
معهم اردد في صدري كلاما اخاطبهم به فيحبسني التشور ويخجلني ذل المسالة
ويحبسني الحياء عن الكلام لانه لم تكن لي عادة بالخوض في مثله فبينما انا كذلك
اذ جاءهم خادم فازعج القوم فقاموا وقمت معهم فدخلوا دارا ذات دهليز
طويل فدخلت معهم وافضيت معهم الى صحن واسع فاذا يحيى بن خالد فيه
على دكة في وسط بستان وقد نصب عليه سرير ابنوس فاقبل القوم فجلسوا وتامل
الخدم القوم فاذا نحن مائة رجل ورجل وغاب الخدم ثم خرج مائة خادم وخادم
وفي يد كل خادم منهم مجمرة ذهب فيها قطعة من عنبر كالفهر والخدم
بافخر اللباس عليهم مناطق الذهب المرصعة بالجوهر وهم يطوفون بغلام

حين اخضر شاربه حسن الوجه وسيم العين واقبل يحيى على الزرتقي القاضي فقال زوج ابن عمي هذا يا بنتي عايشة فخطب وعقد النكاح واخذنا بالنثار من فتات المسك وبنادق العنبر وتماثيل الند الصغار والتقط القوم والتقطت معهم ثم جاء بماية خادم وخادم وفي يد كل خادم منهم صينية فضة فيها الف دينار مخلوطة بالمسك فوضع بين يدي كل واحد منا صينية فاقبلت الجماعة تكور الدنانير في اكمامها وتاخذ الصواني تحت اباطها وينهض الاول فالاول حتى بقيت وحدي لا اجسر على اخذ الصينية وما فيها والاسف والحاجة يمنعاني اذ القوم وادعها وانا مهموم ومفكر حتى ضاق صدري فرفعت راسي فغمزني بعض الخدم على اخذها والقيام فاخذتها وقمت وانا لا اصدق فرحا وجعلت امشي والتفت خوفا من ان يتبعني من ياخذها مني واذا يحيى في كل ذلك يلاحظني من حيث لا اشعر فلما قاربت الستر ردني اليه فايست من الصينية فجيت وهي معي حتى قربت منه فامرني بالجلوس فجلست فسالني عن حالي وقصتي ومن انا ومن اين انا فقصصت عليه حديثي كله حتى بلغت الى حديث تركي عيالي في المسجد فبكى ثم قال علي بموسى ولدي فجاء فقال يا بني هذا رجل من اولاد النعم قد رمته الايام بصروفها والنوايب بحنوها فخذه واخلصه بنفسك واصطنعه لها قال فاخذني موسى الى دار له فخلع علي من فاخر ثيابه وامر بحفظ الصينية لي ونصب علي يومي وليلتي ثم استدعى اخاه العباس من غد وقال له ان الوزير سلم الي هذا الفتى وامرني فيه بكذا وكذا واني اليوم الركوب الى دار امير المومنين فليكن عندك اليوم حتى ارتجعه غدا فاخذني فكان يومي عنده مثل امسي عند اخيه واقبلوا يتداولون كل يوم واحد وانا قلق بامر عيالي الا اني لا اذكرهم اجلالا لهم فلما كان في اليوم العاشر ادخلت على الفضل بن يحيى فاقمت في داره يومي وليلتي فلما اصبحت جاءني خادم من خدمه فقال يا هذا قم الى عيالك وصبيانك فقلت انا لله وانا اليه راجعون تخلص هذا القوم على ان كل والشرب بالصينية وما فيها وما حصلته من النثار فليت هذا كان من اول يوم فكيف اتوصل الان الى يحيى واي طريق اليه وتلاعبت بي مخافة الناس واظلمت الدنيا في عيني وقمت اجر رجلي

والخادم

والخادم يمشي بين يدي حتى ادخلني الى دار كان الشمس تطلع من جوانبها وفيها من صنوف الفرش والالات ما يكون في مثلها فلما توسطتها رايت عيالي اجمعين فيها يرفلون في الديباج والشفوف وقد حمل اليهم ماية الف درهم وعشرة الاف دينار وسلم الي الخادم الصينية وما كنت التقطته من النثار مع صكي بضيعتين جليلتين وقال هذه الدار وما فيها والضياع بغلاتها لك فاقمت مع البرامكة في اخفض عيش واجل حال حتى نزلت بهم النازلة فانا اعيش في فضلهم الى الان ثم قصدني عمرو بن مسعدة في الضيعتين فانتزعهما مني والزمني خراجهما بما لم يف دخلهما فانا يا امير المومنين كلما لحقتني نايبة او اشرفت في بلية قصدت خراب دورهم وجدران قصورهم فبكيت عندهما ورثيتهم فيها وشكرتهم ودعوت لهم على ما كان منهم الي وشكوت ما حل بعدهم فاجد لذلك راحة في قلبي افلام يا امير المومنين على البكاء عليهم والنحيب ما بقيت فقال لا والله يا اخي لا الومك على ذلك ثم استدعى المامون عمرو بن مسعدة وامره بان يرد على الرجل كلما اخذ له في ايام البرامكة واستخرجه من عنده ويقرر خراجه على ما كان عليه في ايام البرامكة وقال له امض مصاحبا مكلوا فان الوفاء مبارك وحسن العهد من الايمان

حدث عبيد الله بن محمد بن الحسن بن الحنفي العنسي قال حدثني ابي قال سمعت شيوخنا بالسواد واهلها يتحدثون ان عمرو بن مسعدة وزير المامون كان منحدرا من واسط الى بغداد في حر شديد وهو جالس في زلال فناداه رجل يا صاحب الزلال بنعمة الله عليك الا نظرت الي قال فكشف السجف فاذا بشيخ ضعيف حاسر فقال له قد ترى ما انا فيه ولست اجد من يحملني فابتغ الاجر في وتقدم الى ملاحيك يطرحوني بين مجاذيفهم الى ان ابلغ بلدا يطرحوني فيه قال فقال عمرو بن مسعدة فرحمته فقلت خذوه فاخذوه فغشي عليه وكاد يموت مما لحقه من الشمس والمشي فلما افاق من غشيته قلت له يا شيخ ما حالك وما قصتك قال قصتي طويلة وبكى حتى رحمته ولم ازل اسكنه واونسه وطرحت عليه قميصا ومنديلا وامرت له بدراهم وشمشك وشكى فقلت ارغب بك ان تخبرني حديثك وتشرح لي قصتك

فافعل فقال انا رجل كانت لله علي نعمة جليلة وكنت صيرفيا فابتعت جارية
بخمسماية دينار فاحببتها حبا عظيما وكنت لا اقدر ان افارقها ساعة من الدهر
فاذا خرجت الى دكاني اخذني كالجنون والهيمان حتى اعود اليها فاجلس معها
يومي كله فدام ذلك علي وتعطل دكاني وبطل شغلي وانقطع كسبي واقبلت
انفق راس المال حتى لم يبق قليل ولا كثير وانا مع هذا لا اطيق ان افارقها بقدر ما اقعد
في الدكان فاتعيش وحملت الجارية واقبلت انقض داري وابيع نقضها حتى فرغت
من ذلك ولم تبق حيلة وضربها الطلق فقالت يا هذا ان هذا موت فاحتل فيما
تبتاع لي عسلا ودقيقا وسمنا وفحما والا مت فبكيت وحزنت وخرجت على
وجهي ومضيت لاغرق نفسي في دجلة فذكرت حلاوة النفس وخوف العقاب في الاخرة
فامتنعت ثم خرجت على وجهي الى النهروان ومازلت امشي هائما من قرية الى قرية
حتى بلغت الى خراسان فصادفت فيها من عرفني وتصرفت في صناعتي فرزقني الله
عز وجل وفتح علي حتى اكتسبت مالا عظيما واثريت واتسعت حالي وكتبت
سنة وستين وثلاث سنين الى دار اتعرف خبر اهلي ومنزلي فلم اشك في موت الجارية
لما كنت تركتها عليه من ضيق الحال فقلت هلكت والله لا محالة وقطعت
المكاتبة وتراخت الايام ومضت السنون حتى حصل في كسبي ما قيمته عشرة الاف
دينار فقلت قد صارت لي نعمة فلو رجعت الى بلدي وصرت في وطني وجيراني
وتاقت نفسي الى ذلك ومالت اليه ميلا شديدا ولم اقدر ان اصبر فابتعت بمالي كله متاعا
من متاع خراسان واقبلت اريد العراق من طريق فارس والاهواز فخرج على القافلة
لصوص فاستاصلوا كلما وجدوا فيها فنجوت بما كان علي من ثياب السفر
وعدت فقيرا كما خرجت من بغداد فدخلت الاهواز وبقيت بها متحيرا حتى
انكشف خبري لبعض من اعرفه فاعطاني شيئا تحملت به الى واسط ونفدت نفقتي
فمشيت الى هذا الموضع فقد كدت اتلف فاستغثت بك ولي منذ فارقت بغداد
ثمان وعشرون سنة فعجبت من محنته ورثيت لحاله ورققت له وقلت له اذا صرنا الى
بغداد فاتني فخبر اهلك وسلني اتقدم بتحقيق فيما يصلح لمثلك مما تعيش
به فشكرني على ذلك ودعا لي ودخلنا بغداد ومكثت على ذلك مدة انسيته

فيها

فيها فبينما انا يوم من الايام قد ركبت اريد دار المامون اذا انا بالشيخ على بابي راكبا
بغلا فارها بمركب محلى ثقيل وغلام اسود بين يديه كانه مملوك له وثياب حسنة
مرتفعة فلما رايته رحبت به وقلت له ما الخبر فقال طويل فقلت حدثني فلما كان
من الغد جاءني فقلت عرفني خبرك فقد سررت بحسن حالك وظاهر امرك فقال
اني صعدت من الزلال الذي كنت فيه معك فقصدت فوجدت حايطها الزي يلي
الطريق كما خلفته غير ان باب الدار مجلو نظيف وعليه دكاكين وبواب وبغال
مع شاكرية فقلت انا لله ماتت والله جاريتي وتملك الدار غيري من بعض الجيران
فباعها على من رجل من اصحاب السلطان ثم مشيت الى بقال كنت اعرفه في
المحلة فاذا في دكانه غلام حدث فقلت له من تكون من فلان البقال فقال ابنه قلت
ومتى مات ابوك قال منذ عشرين سنة فقلت هذه الدار لمن قال لابن داية امير المومنين
وهو الان صاحب بيت ماله قلت بمن يعرف قال بابن فلان الصيرفي فاسماني فقلت
وهذه الدار من باعها عليه قال هذه دار ابيه قلت وهل يعيش ابوه قال لا قلت اتعرف
من حديثهم شيئا قال نعم حدثني ابي ان هذا الرجل صاحب هذه الدار كان صيرفيا
جليلا فافتقر وان ام هذا الغلام ضربها الطلق فخرج ابوه يطلب لها شيئا
فغرق وهلك وكان اخر العهد به وقال لي ابي جاءني رسول من عند ام هذا الغلام
ساعة ان ولد وسمعتها تستغيث وتسال شيئا ترد بها روحها وتحيي رمقها
قال فقمت لها بحوائج ولادتها كلها ودفعت لها مع ذلك عشرة دراهم فما
انفقتها حتى فتح الله عليها وقيل قد ولد لامير المومنين الرشيد مولود ذكر
وقد عرض عليه جميع الدايات فلم يقبل ثدي احداهن وقد طلب له الحراير فجاو
بغير واحدة منهن فما اخذ ثدي واحدة منهن وهم في هم من طلب مرضع
قال ابي فارشدت الذي طلب الداية الى ام هذا الغلام فحملت الى دار الرشيد فحين وضع
الطفل فمه على ثدي المراة قبله فارضعته وكان الرضيع المامون وصارت
عندهم في حال جليلة ووصل اليها منهم خير عظيم ثم خرج المامون
الى خراسان فخرجت هذه المراة وابنها معه ولم يعرف اخبارهم الا منذ قريب
لما عاد المامون وعادت حاشيته رايناه هذا قد جاء رجلا وانا لم اكن رايته قط

وكان في قومي فقالوا هذا ابن فلان القيمي في وابن داية الخليفة المامون فبنا هذه الدار وسواها قلت له افعندك علم من امه اهي حية ام ميتة فقال هذه حية تمضي الى دار الخليفة اياما وكان هنا عند ابنها اياما فحمدت الله تعالى على هذه الحال وجئت حتى دخلت الدار مع الناس ورأتني زوجتي فلم تخف مني حتى تحدثت بما كان بيننا وانبسطت وتانست بكلامي فحينئذ عرفتني وعرفوني كبار عيلتنا وجاء ولدي فسلم علي وخلع علي ودخلت الحمام وتطيبت ولبست الخلع ومضى بي الى المامون فخلع ايضا علي واجرى علي رزق وبقيت مع اهلي وولدي وفرج الله عني والحمد لله على كل حال والله الموفق

ذكر عبد الله بن بشر

قرابة الفضل بن سهل كان الفضل اذا دخل مدينة السلام من البيت لحوائجه وهو اذ ذاك صغير الحال نزل على فلان بها يقال له خزابوذ فيخدمه هو واهل داره ويقضي حوائجه الى ان يعود ومضت الايام وبلغ الفضل بخراسان مع المامون ما بلغ وقضى ان الفلاني الح عليه الزمان بنكبات متصلة حتى افتقر فنهض الى الفضل بن سهل وقدم مرو فبدانى وسرت به واتى منه واصلحت حاله من شانه بما يجب ان يصلح لدخوله على الفضل وقمت ودخلت على الفضل وقد جلس على مائدته فقلت له تذكر الشيخ الفلاني الذي كنا ننزل عليه ببغداد فقال سبحان الله تقول لي تذكره وله علينا من الحقوق ما قد علمت فكيف ذكرته الآن انسانا اخبرني بموته فقلت هو ذا في منزلي فاستكشفني حاله وقال هاته الساعة ثم رفع يده وقال لا آكل او تجيئني به فقمت فجئت به فحين قرب منه تطاول اليه واجلسه فيما بيني وبينه واقبل عليه وقال يا هذا ما حبسك عنا طول هذه المدة فقال محن عاقتني ونكبات اصابتني فاقبل يسأله عن واحدة واحدة من بناته واهله فقال لم يبق لي بعدك ولد ولا اهل ولا مال الا تلف ولا تحملت اليك الا من فقر ومسألة فكاد الفضل ان يبكي فلما استتم غداءه امر له بثياب فاخرة كثيرة ومركب ومال ونفقة وان يدفع اليه منزل واثاث واعتذر اليه ووعده النظر في امره فلما كان من غد احضر وكلاء التجار ببغداد وقد كانوا يبتغون بيع غلات السواد منهم واعطاه

عطايا

عطايا لم تجب اليها فاحضرني وقال قد علمت ما دار بيني وبين هؤلاء فاخرج اليهم واعلمهم اني قد انبرت لهم البيع بما التمسوه نحو الوضع معهم الربح ففعلت ذلك فاجاب التجار وفرحوا بما تسنى لهم ثم انهم يسهلون عليك بركة الموز ويبذلون لك مائة الف درهم على ان تخرج من الشركة فاخترت ان تفعل ولا تخرج باقل من خمسين الف دينار قال اخرج معهم وتوسط بينهم وبينه ففعلت ولم اقنع حتى قدم التجار الى خزابن خمسين الف دينار ودخل فعرف الفضل ما جرى وشكر له واقام معنا مديدة ثم دخل اليه والفضل مفكر مغموم فقال له ايها الامير ما الذي بلغ بك ما ارى من الفكرة فقال امر لا احسب لك عملا يا خزابه قال فاخبرني به فان كان عندي ما يفرجه والا ففي الشكوى راحة فقال له الفضل ان خارجيا خرج علينا ببعض كور خراسان ونحن على ضيقة من المال واكثر عساكرنا بازاء اعمال بغداد والخارجي يقوى كل يوم وانا متحير في الامر فقال له ايها الامير ما ظننت الامر الا اصعب من هذا وما هذا عسى ان تفكر فيه انت فتحت العراق وقتلت المخلوع وازلت مثل الدولة وتهتم بهذا اللص الذي لا مادة له انفذني اليه ايها الامير فان اتيتك به او براسه فذاك فهو الذي تريد وان قتلت لم تفقد من يثلم الدولة فقده على اني اعلم ان سعدك لا يخطئني في هذا المقدار اليسير قال فبكى الفضل ساعة ثم التفت الي وقال لعل الله يريد ان يحيي فينا قرابته خزابوذ ثم لبى رجالا واحتال في مال فرقه عليهم وخلع على خزابن وقلده حرب الخارجي والبلد الذي هو فيه فسار خزابوذ بالعسكر فلما شارف عسكر الخارجي جمع وجوه عسكره فقال لهم اني لست من اهل الحرب وانما اعول على نصر الله تعالى لخليفته وعلى اقبال الامير وليس ولد الخارجي من اهل المدد وانما هو لص لا شوكة له فاعملوا عملا واتوا بالظفر ولا تفعلوا بدون الوصول اليه ولكم ان جئتم براسه كذا وكذا قال فحملوا وحققوا فاجلت الحرب عن الخارجي قتيلا واحتز راسه فكتب خزابوذ الى الفضل لست ممن يحسن كتب الفتوحات ولا غيرها ولكن الله تعالى قد اظفر بالخارجي وحصل راسه معي وتبعه اصحابه وانا استخلف على الناحية واسير بالراس فعجبنا مما تم له وعلت

حاله مع الفضل بعد المشقة والضيقة والحمد لله على كل حال قال ثم فرق الفضل
بن سهل عيوننا في البلدان يسالون عن عيوبه فعاد اليه واحد منهم فاخبره ان وفدا
وفدوا الى المامون فلما وصلوا قالوا ما راينا مثل هذا الملك جلالة وعقلا ولا مثل وزيره
لولا انه حدث ومن شان الملوك ان يستوزروا المشايخ الخبراء اجتمعت لهم الى العلم تجربة
والى الرياسة حنكة واحتجب الفضل ثلاثة ايام يعالج لحيته ثم ظهر اليهم وهي بيضاء
وقدم وفد الكوفة على المامون فاعرض عنهم فاخرج شيخ منهم
فقال يا امير المومنين يدي احق بالتقبيل لعلوها في المكارم وبعدها من الماثم انت
يوسفي العفو في قلة التثريب فمن ارادك بسوء جعله الله حصيد سيفك وطريد
خوفك وذليل دولتك فقال نعم الخطيب خطيبهم فلتقض حوائجهم فقضيت
وارسلت ام جعفر زبيدة الى ابي العتاهية ان يقول لها على لسانها ابياتا تستعطف
بها المامون فارسل اليها بهذه الابيات

الا ان صرف الدهر يدني ويبعد * ويمتع بالالاف طورا ويفقد
اصيبت بريب الدهر مني يدي يدي * فسلمت للاقدار والله احمد
وقلت لريب الدهر ان هلكت يد * فقد بقيت والحمد لله لي يد
اذا بقي المامون لي فالرشيد لي * ولي جعفر لم يفقدا ومحمد

قال فلما قراها المامون استحسنها وعطف على زبيدة وزاد في تكرمتها
واثرها وسالها من قائل الابيات فقالت ابو العتاهية فامر له بعشرة الاف درهم
وقال عياش الزبيري رفع رجل قصته الى المامون وساله ان ياذن له
في الدخول عليه والاستماع منه فاذن له فدخل وسلم فقال له المامون تكلم بحاجتك
فقال اخبر امير المومنين ان مصائب الدهر وعجائب الايام ومحن الزمان قصدتني فاخذت
مني ما كانت الدنيا اعطتني فلم تبق ضيعة الا خربت ولا نهرا الا اندفن
ولا منزلا الا تهدم ولا مالا الا ذهب وقد اصبحت لا املك سبدا ولا لبدا وعلي دين كثير
ولي عيال واطفال وانا شيخ كبير قعدت بي المطالب ونفرت عني المكاسب
وفي حاجة الى نظر امير المومنين وعطفه فبينما هو في الكلام اذ ضرط فقال
وهذا يا امير المومنين من عجائب الدهر ومحنه والله يا امير المومنين ما ظهر هذا مني

قط

قط الا في موضع فقال المامون لجلسائه ما رايت قط اقوى قلبا ولا اربط جاشا
ولا اشر نفسا من هذا الرجل ثم امر له بخمسين الف درهم **وعتب المامون**
في كثرة هباته وجزيل عطياته وقيل له ان هذا اسراف يودي الى الاتلاف فقال ان الله عودني
ان يفضل علي وعودته ان افضل على عباده فاخاف ان اقطع العادة فتقطع عني
المادة ولو لم يكن في الكرم فائدة غير صفته مع صفة الخالق جل جلاله
دعونا من هذا **وذكر الشرقي** ان المامون تصيد يوما في تصيده فانتهى
الى بعض بيوت البادية فراى صبيا يضبط قربة وقد ذهب عليه وكاؤها وهو
يقول يا ابت اشدد فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فوقف عليه المامون
وقال يا فرخ عمه ممن تكون قال من قضاعة قال من ايها قال من كلب قال وانك
لمن الكلاب قال لسناهم ولا كنا قبيلا يدعى كلبا قال فمن ايهم انت قال من بني
عامر قال من ايها انت قال من الاجراد من بني كنانة وانت فمن انت يا خال فقد سالتني
عن حسبي قال انا ممن تبغضه العرب كلها قال فانت اذا من نزار قال انا ممن تبغضه
نزار كلها قال فانت اذا من مضر قال انا ممن تبغضه مضر كلها قال فانت اذا
من قريش قال انا ممن تبغضه قريش قال فانت اذا من بني هاشم قال انا ممن تحسده
بنو هاشم كلها قال فارسل الصبي فم القربة وقام اليه وقال السلام عليك يا امير
المومنين ورحمة الله وبركاته ثم ضرب بيده الى شكيمة البغلة وجعل يقول

مامون يا ذا المنن الشريفه * وصاحب الكتيبة الكثيفه
هل لك في ارجوزة ظريفه * اظرف من فقه ابي حنيفه
لا والذي انت له خليفه * ما ظلمت في ارضنا ضعيفه
عاملنا مونته خفيفه * وما جبا فضلا عن الوظيفه
فالذيب والنعجة في سقيفه * واللص والتاجر في قطيفه
يارب امنه ولا تخيفه * من سار فينا سيرة الخليفه

فقال المامون احسنت يا فرخ عمه فايهما احب اليك عشرة الاف
درهم معجلة او مائة الف موجلة فقال بل اوخرك يا امير المومنين قال فما لبث
ان اقبلت الفرسان فقال احملوه فمضى به حتى كان احد مسامريه

وركب المامون في بعض الليالي الى المطبق فقتل ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه وهو المعروف بابن عايشة وصلبه وقتل معه ابراهيم بن محمد الافريقي وذلك سنة تسع وما يتين وهو اول عباسي صلب في الاسلام وكان قد حاول الايقاع بالمامون فلما فرغ من قتله تمثل المامون بهذا البيت

انا النار في احجارها مستكنة   متى ما يهجها قادح تتضرم

ونحو بالمامون في سيره هذا الى المطبق على ابي الحسن العباس ابن الحسن العلوي وكان ذا مال غزير ومتعة وعزو بلاغة وكان المعتصم يشنؤه لحال كانت بينهما فمكن في قلب اخيه المامون انه شاذ لدولته ماقت لايامه فلما لحق بالمامون قال له المامون ما زلت تسعى ها هنا حتى وقعت فقال اعيذك بالله يا امير المومنين ان تعتقد هذا ولاكنني تذكرت قول الله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه قال فحسن موقع ذلك منه ولم يسايره حتى بلغ المطبق فلما قتل ابن عايشة قال ايذن لي امير المومنين في الكلام قال تكلم قال الله الله في الدماء فان الملك اذا ضرى بها لم يصبر عنها ولم يبق على احد فقال المامون لو سمعت هذا الكلام منك قبل ان اركب ما ركبت وما سفكت دما ثم امر له بثلاث ماية الف درهم **وكان المامون** قد استثقل سهل بن هارون فدخل عليه سهل يوما والناس عنده على منازلهم فتكلم المامون بكلام ذهب فيه كل مذهب فلما فرغ المامون من كلامه اقبل سهل على ذلك الجمع فقال ما لكم تسمعون ولا تعون وتفهمون ولا تتعجبون وترون ولا تبصرون والله انه ليفعل ويقول في اليوم القصير ما لا تفعل بنو مروان وتقوله في العصر الطويل عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم ولاكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء فرجع له بعد ذلك **وقال محمد بن جعفر** الانماطي فقعدنا يوما مع المامون للغداء فوضع على مايدته اكثر من ثلاث ماية لون كلما وضع لون نظر المامون اليه وقال هذا نافع لكذا وضار لكذا فمن كان منكم صاحب بلغم فليجتنب هذا اللون واشار اليه ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض لهذا اللون واشار اليه فوالله ما زالت حاله في كل لون يقدم اليه حتى رفعت الموايد

فقال يحيى

فقال يحيى ان كنتم يا امير المومنين ان خضنا في الطب فانت جالينوس في ضبطه او في النجوم فانت هرمس في حسابه او في الفقه فانت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في علمه او ذكر السخاء فانت حاتم في صفته او ذكر صدق الحديث فانت ابوذر الغفاري رضي الله عنه في صدق لهجته او الكرم فانت كعب بن مامة او الوفا فانت السموال بن عاديا في فعله فسر المامون بهذا الكلام وقال يا ابا محمد ان الانسان انما فضل على غيره بعقله ولولا ذلك لم يكن لحم اطيب من لحم ولا دم اطيب من دم **وحدث محمد** الغاز قال كنت مع المامون بالشام فاحتاج الى الفصد فقال الاطباء يا امير المومنين ان البلد بارد فقال لا بد منه ففصده سخايل المتطبب والاطباء حضور كلهم فراموا ارسال الدم فلم يقدروا فاذا العرق قد التحم فشدوا الرباط فظهر الجرح اليه وثب ولم ينفجر منه شيء فقال له المامون قد عقرتني تخلطني فاقبل بختيشوع المتطبب وابن ماسوية فقال لهم ماترون فقالوا ما نرى ما نقول فقال لهم تشاوروا هنالك فان جلالة الخلافة ربما ادهشت الحاذق بالصناعة المتقدم الرياسة فاعتزلوا ناحية يتشاورون فابطا عليه فقال المامون لاسود كان على راسه ادن فمص فم هذا الجرح فدنا الاسود فمصه ففار الدم فقال ادع لي هولاء الحكمة فجاوا فشهروا خروج الدم فقال لهم ان كنتم اين علمكم بالطب فقال ابن ماسوية يا امير المومنين لو نشر لنا جالينوس وبقراط ما زادا على هذا شيا لله درك من مولى **وقال يحيى** بن اكثم والله ان حدثت عواني من المامون ولا احلم الملوك ولا سوقة ولا احسن منه خلقا ولقد بت عنده ليلة فعطش فيها وظن اني نايم وانا منتبه ارى كل ما يصنع فكره ان يدعو الغلام فينبهني فقام ومشى الى برادة بينه وبينها اكثر من ماية خطوة فاخذ كوزا فشرب ثم اقبل فلما دنا من فراشي خطا خطا خفايف كي لا انتبه ورمى بنفسه على فراشه **ووجه الفضل** بن الربيع الى عيسى بن محمد بن ابي خالد وكان يحارب اصحاب المامون فقال له ان هذا الذي انت عليه من محاربة اصحاب هذا الرجل يعني المامون واخراج يدك من طاعته لا يصلح الا ان تقيم رجلا تدعو له بالخلافة وتبايع له وتقاتل دونه فسار عيسى الى بغداد وسعى الفضل بن الربيع الى محمد بن صالح بن المنصور وكان احد بني هاشم فقال له نبايع لك بالخلافة فان الناس

قد رغبوا فيك ولا يختلف عليك اثنان وعلينا الاموال والرجال ونحارب دونك فقال له
يحيى بن صالح كيف وقد وقعت بيعة المامون في اعناقنا واعطيناه صفقة ايماننا
وكان تبناه يا امير المومنين فادار الفضل وقلبه فلم يجد عنده ما احبه فتركه واتى
منصور بن مهدي فقال له مثل ذلك فهرب منه فلما رأى الفضل ابن الربيع ذلك سار
الى ابراهيم بن المهدي وكان ابراهيم مستوحشا من المامون فبايع لابراهيم وتسمى
ابراهيم بالرضى وكشف الفضل بن الربيع وجهه لذلك وكانت البيعة ليلة الجمعة
لخمس خلون من المحرم سنة ثنتين وماية وانتظم الامر للمامون وامر بنادي في جميع
النواحي بالامان لجميع الناس صغيرهم وكبيرهم الا لابراهيم بن المهدي والفضل
ابن الربيع فلم يعرف موضعه وكان الفضل قد استتر عند اسحاق بن ابراهيم
الموصلي قال اسحاق وجاءني الفضل بن الربيع مستجيرا فاجرته فاقام في منزلي
مدة وكان اعظم الناس باسا واشدهم كبرا فاني لفي منزلي يوما اذ دخل علي
غلامي فقال هذا رسول علي بن هشام قلت ايذن له وكان علي بن هشام مكرما
لي بارا بي وكان عادته ان يوجه لي اذا اراد الانس ببعض خدمه الخاصة
فدخل علي انسان عليه سواد فلما رايته رعبت منه فسلم ثم قال لي الامير يطلبك
فنهضت ومضيت فوجدته جالسا فسلمت فرد علي السلام واوما الي فجلست
فضحك في وجهي فسكن روعي فالقى الي كتابا من المامون يقول فيه انه قد
تواترت الاخبار ان الفضل بن الربيع عند اسحاق بن الربيع الموصلي فاركب الى داره بنفسك
حتى تقتحم بنفسك وخذله باحضاره اخذا شديدا فقال ما تقول يا ابا محمد فقلت
اصلح الله الامير واي منة للفضل بن الربيع عندي حتى اعرض نفسي لعظيم المكروه
ونعمتي للزوال واسخط ربي وسلطاني قال صدقت ولكن لا بد من طاعة الخليفة
وانا اركب غدا الى دارك فخص حرمك وقم الى منزلك قال فانصرفت وعرفت
الفضل بذلك فقال لي يا اخي اطلب لي موضعا انتقل اليه فطلبت له موضعا وقلت
تخرج بالليل من باب الحمام وعليك ثياب النساء قال نعم فالبسته ثيابا من ثياب النساء
فلما اراد يخرج قال لي اسحاق قلت لبيك فوالله ما كتمانه ولا الان في قوله وتقدم
وهو يقول

لبست

لبست ثيابا للنساء وتحتها
عزيمة رأي اشبهت سلب النصل

ثم سار الفضل بن الربيع الى هرثمة بن اعين يسأله الامان من المامون فكتب له هرثمة
امانا وكتب للمامون يعلمه بذلك فكتب اليه المامون ان ابن الربيع صار اليك بلا دل
ولا ذمة فاحمله مستوثقا منه الى امير المومنين وان كنت اعطيته عن امير
المومنين ما لم يفوضه اليك لا امان له فاطلقه واسترد الامان منه وخله يمضي حيث
شاء فاوحش ذلك هرثمة واسترد الامان من الفضل وقال له الحق باي البلاد شئت

قال جعفر ابن محمد بن وهب حدثني الفضل بن الربيع بعد
ظفر المامون به بمدة قال لما طال بي البلاء واضجرني الهرب والتنقل من بلد الى بلد
حتى انقطعت حيلتي فدخلت دار علي بن صالح حاجب المامون وعلي
قباء اسود فلما خلا مجلسه دنوت منه فقلت اردت كلامك فقربني اليه فقلت له
اعرفتني فقال ما انكر سوءا قلت الست عمك وشيخك الفضل بن الربيع فتاملني ثم قال
صدقت انت والله عمي وشيخي ثم اخذ بيدي فرفعني ثم اقبل علي فقال
حضرت بامان من امير المومنين قلت لا قال فاستاذنت لك احدا قلت لا قال فجاءتك
منه رسالة قلت لا قال فعلام حضرت وهلا بعثت الي قبل حضورك فاخذ
لك امانا من امير المومنين قلت حضرت تحكما لامر المامون في امري واثقا بسعة
عفوه فدعا خليفته فقال له اجلس مع عمي ثم نهض فدخل على المامون
فلما وصف صفتي له قال له المامون احسبه الفضل بن الربيع قال نعم يا امير المومنين
هو الفضل بن الربيع وسالته هل حضر بامان من امير المومنين قال حضرت واثقا
بسعة عفوك وعظيم حلمك قال ادخله علي فادخلني عليه وهو
جالس وحده فلما رآني قال فضل قلت العبد المتحكم المسيء المقر بالذنوب
المعترف بالخطى ضاقت عليه الارض بما رحبت فما وجد ملجا ولا ثوب يشفي لقيته
فتطول سيده له قال فدعا المامون اخشين الخادم ثم قال له خذ هذا يكن عندك
فاخذني وضمني اليه وكساني وجعل يقيم لي كل يوم الطعام وجميع
ما احتاج اليه فاقمت عنده شهرا على تلك الحال ثم جاءني اخشين وعلي
الثياب التي البسنيها فادخلني المامون فاذا هو جالس في وسط المجلس وعلى مخزل

المومنين

مخدتك وقد طرح صدرك عليها فاستاذنتك ثم قال اقعد فقعدت ثم قال هبك تعذر
نفسك في افعالك التي فعلتها وحملك العشرين الف الف درهم التي امر الرشيد
بحملها التي لنفقات خراسان فصيرتها فيما حملت من الاموال الى محمد بن الامير وخالفت
امر الرشيد وكتابك التي تامرني ان انفذ اليك حساب خراسان وما ارتفع من مال وما يخرج
من نفقاتها وبعثك الى صاحب بريدي يكتب لك باخباري واخبار عمالي واصحابي
وهذا كله بخلاف ما كان في شروط الرشيد على صاحبك ابيه وكتابك الي في
القدوم من خراسان الى بغداد وحملك محمد الامير على البيعة لموسى ابنه وهو طفل
صغير بولاية العهد وتزيينك له ان خلعني ولعنني على المنابر وتوجيهك
الي علي ابن عيسى بن ماهان في الجيوش لمحاربتي فلما نصر الله عليه وامكن منه
جعلت توجه الي الجيوش بعد الجيوش لمحاربتي وتلعنني اذا ذكرتني كل هذا
فعلته انت لان محمد كان اميرا لما ولي الامر تشاغل بلذاته والقى اليك المقاليد وفوض
اليك التدبير فاحببت ان يصفو سلطانه لك وكنت تعز فيه نفسك وبعذرك
اهل الجهل مثلك والمتقربون لبنيا الدنيا معك واعظم من هذا دخلت دار
ووطيت حريمي وهتكت ستر ابنة عمي وتناولتها بيدك واخذت جميع
ما في ملكي وملكها وحملتها لصاحبك فلما مضى محمد بسبيله طلبت
الامان ووجهت رسلك فكتبت لك كتاب امان ووقعت فيه بخطي وحلفت لك
بالايمان التي لا كفارة لها ولا مخرج منها على الوفاء بكل ما اعطيتك
فاخذت الامان ثم نكثت وعاودت الخلاف والمعصية فكل هذا فعلته
فانك لم تثق ولم تسكن الى اماني ولم تنظر وفاء بعهودي ثم سعيك الى
وجوه بني هاشم تدعوهم الى ان تبايع لهم وتضمن لهم والرجال الى محمد
بن صالح بن المنصور ومرة الى منصور بن المهدي ومرة الى سليمان بن المنصور
فلما لم تجد عند هؤلاء اجابة اخذت ابراهيم بن شكلة الماجن العيار
المغني فاجلسته وسلمت عليه بامرة امير المومنين وسعيت الى القواد حتى بايعوا له
واخذت لهم الهاشميين بالعهد وجئت لسعيد بن الساجور ولعمرو وعلي وعيسى
بن محمد بن خالد واشباههم واعددت الحرب جرعة حتى سفكت بذي

الدماء المرة بعد المرة وانتهكت المحارم ونهبت البلدان لا ترعوي ولا تخاف الله
ولا تستحيي ولا ترجع الى تقوى كانك مخلد في الدنيا ثم فعلت ما هو اعظم
من هذا وافجع فجيعتك يا ابن الخنا الى مولاتك ام عيسى بنت امير المومنين الهادي
زوجة المامون حتى هجمت عليها في دارها بالرجال فصارت الى بيت منها
فكسرت الباب ودخلت عليها فاخذت بشعرها واخرجتها الى الرجال والسوط
في يدك تضربها وتسالها عما عندها من الاموال يا ابن الفاجرة البظراء ابوها
الذي انعم عليك واجلسك المجلس الذي كنت به واحلك المحل الذي لم تكن له
اهلا اما تعاظمك هذا اما كان يجب عليك ان ترعى الحرمة فيها وجدها
المهدي وجد ابيها المنصور يا عبد السوء هذا جزاء من انعم عليك واعتق
رقبتك ورقاب ابيك ان تهتك حرمته وتهتك ستر ابنته وتخرجها مكشوفة الشعر
والوجه والصدر الى الرجال ولو كنت امراة من عوام الناس ثم كنت ممن يرجع
الى حياء او تكرم ما فعلت هذا ولكنك رجعت يا عبد السوء الى طبعك
واصلك الدني وما يعلمه الناس ان اباك كان ولد زنا وانت والله مثله لا شك
في ذلك ثم ما فعلت في الجوهر احضرت القضاة والفقهاء ووجوه التجار
والعدول فاخرجت اليهم سفطا مختوما بخاتم الرشيد ففتحته واخرجت منه
احجارا وجوهرا نفيسا فذكرت ان الرشيد دفعه اليك وامرك ان تحتفظ به لما عسى
ان يدخل الملك من الاضطراب فيحتاج الى هذا ومثله ثم جعلت تزن تلك الاحجار
وتجعلها في الهوا وتزن وتصفها وتاخذ شهادة الشهود على حجر حجر وصفته
ووزنه وانك حفظته تحضرهم يا ابن الخبيثة فجعلك الرشيد رحمه الله في موضع
الامانة وانك ثقة لم تر نفسك يا ملعون موضعا لذلك ولا اهلا له فهلا احتفظت
به الى ان تتقرب به وتجعل اداءك الامانة فيه سبيلا لامانتك وسلامتك وخلاص نفسك
ولكن فعلت ما يفعل العبد اللئيم الغاش الخائن مثلك قال الفضل فوالله ما
فرغ من كلامه الا وانا لا ادري انا فقد ضل عقلي وخفق قلبي ورايت لا ناجية
لي فلم يكن لي لسان اجيبه به ولا قدرت ان ارد عليه شيئا ثم امر خشيران يقيمني
فاقامني وردني الى الموضع الذي كنت فيه فوالله ما انتفعت بمطعم ولا مشرب

ولا منام وما كان اعظم ما اتمناه الا ان يامر بضرب عنقي فاني اقمت على الروع والهلع واضطراب القلب فيما كان الموت عندي والله اروح منه فلما مضت ثلاثون ليلة من مجلسه ذلك دعاني في مثل ذلك الوقت فتذكرت على ذنوبي وافعالي ولعلها تكون اخر من الدنيا فلما دخلت عليه وجدته جالسا في ذلك الموضع وعلى تلك الحال فقال لي فضل قلت لبيك ياسيدي المذنب المسيء الظالم لنفسه قال ما خبرك قلت والله ما اجد قبلي نارا يرجوا بحسي وان اعظم ما اتمناه الموت ان يحل بي قال اني كنت امرت بجميع عيالك وولدك وسائر اهلك في منزل وان تجري لهم الانزال والتي تقيمهم فاخترت بان امر لك بالف درهم في كل يوم فيحمل لك من بيت المال ثلاثون الف درهم في الشهر وبشرى ان اعطيك مرضيا عنك ما يكون فيه هذا المقدار قلت ياسيدي وهل لي فرح في اهل وولد او اطمع في الحياة فقال يا علي بن صالح خذ بيده فاحمله على دابة من دوابك وابعث معه جماعة من اصحابك يسيرون معه الى عياله فساروا بي الى عيالي وولدي فما صدقت بذلك ولا صدقوا اهلي قال فاقمت في منزلي شهورا ثم اذن لي المامون بالركوب معه فكنت اركب في خفتان ابيض وعمامة وخف بغير سيف ولا منطقة فاقف اذا جلس المامون بحيث يراني في اقصى الدار فاذا انصرف الناس انصرفت اليه ولما اذن المامون له فما اذن دخل علي ابن صالح الحاجب فقال يا امير المومنين في الدار ان الفضل بن الربيع فقال فاخسعه فخرج اليه على ما شاء الى الباب الخارج وقال يا فضل ها هنا من تبتدي ويعز والله على ذلك فاجلس في اخريات الناس قال فجلس هنالك واسمعه رجل ما يكره فقال له الفضل ان امير المومنين وان كان قد اسقطني والزمني منزلي فلم يسلط الناس علي ولم يوجب علي الصبر لهم فكف عني والا كفيتك وانت اعلم

وكان الفضل يقول ما اخذت من العقل والتجربة احب الي مما ذهب من المال والرتبة وشكى سالم الخاسر الى الفضل بن الربيع حاله فقال انا في ضيقة فاغدوا الى ان تتسع فلما سار سالم الى منزله انفذ له الفضل ثلاث مائة دينار فقال سالم

ليس جود الفتى عن فضل مال … انما الجود للمقل المواسي
قد قضى الفضل ما عليه من الوعد … ومازال ذاك اعين تاسي

ما بالي اذا اتقيت اذا ما … دفع الله عن ابي العباس

وذكر عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال ما مدحنا بشعر احب الينا من شعر ابي نواس حيث يقول في شعر له

ساد الملوك ثلاثة ما منهم … ان حصلوا الا اغر فريع
ساد الربيع وساد فضل بعده … وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس اذا احتدم الوغى … والفضل فضل والربيع ربيع

وذكر موسى بن ابراهيم الشعودي قال ارسلني المامون الى الفضل بن يحيى في علته التي مات فيها فقال لي اعلمه اني قد رضيت عنه فليسالني ما شاء من امواله حتى ارده عليه وليقل ما شاء وما احب حتى اجيبه اليه فلما بلغته الرسالة قال لي قل له انا الى رضا ربي عز وجل احوج مني الى رضاك والى قليل من العافية احوج مني الى عطيتك فاديت ذلك الى المامون فقال انا اعلم الناس بكبر نفسه وسمو همته وتوفي في غد هذا اليوم وذلك في سنة ثمان ومائتين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكان مولده سنة اربعين ومائة وقال حارثة بن مسلم بن الوليد يرثيه وكان في ناحيته ومن حاشيته

عيني بكت لابن الربيع ابي العباس … زين الورى وغيث اللهيف
كان والله صادق القول والفعل … شريف النوال وابن شريف
جرعته الايام كاس اعتضاض … ثم اهدته بعدها للحتوف

فهذا ما كان في نكبة الفضل وامانه واما ابراهيم بن المهدي فقد ذكرت ناله قبل ذلك وما كان من امره في تخفيه وامانه **قال ابو الفرج الاصبهاني** حدثني عمي قال حدثني احمد بن ابي طاهر قال حدثني ابو دعامة علي بن يزيد قال حدثني التميمي ابو محمد قال دخلت على الحسن بن سهل فانشدته مديحا في المامون ومديحا فيه وعنده طاهر بن الحسين فقال له طاهر والله ايها الامير الذي يقول في محمد المخلوع هذا الشعر

لا بعد من تسفه على طرب … لعل روحا يزال من كرب
خليفة الله خير منتخب … لخير ام من هاشم واب

خلافة الله قد توارثها ❁ اباؤه في سالف الكتب
فهي له دونكم يورثه ❁ عن خاتم الانبياء في الحقب

قال الحسن عرض والله ابن اللخناء يا امير المومنين والله لا كلمته فقام الى المامون فاخبره فقال وما كلفته من ذلك رجل اصار رجلا فمدحه والله لقد احسن الينا واساء اليه اذ لم يتقرب اليه ثم دعاني فخلع علي وحملني وامر لي بعشرة آلاف درهم قيل كان بين غسان بن عباد وعلي بن عيسى وقفة ادت الى عداوة وكان علي بن عيسى القمي ضامنا اعمال الخوارج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها اربعون الف دينار فالح المامون في اقتضائها اياه ومطالبته بها الى ان قال لعلي بن صالح حاجبه طالب علي بن عيسى بما بقي عليه وانظره لثلاثة ايام فان احضر المال قبل انقضائها والا فاضربه بالسياط حتى يوديها او يتلف فانصرف علي بن عيسى عن دار المامون ايسا من نفسه اذ كان لا يعرف وجها

بلغني بالاهواز

قال وغلب على المامون وعلى جميع اموره كلها الفضل بن سهل ابن زادانفروخ اصله من قرية من قرى السيب الاعلى وكان مجوسيا وابوه سهل مجوسي فاسلم سهل على يدي سالم بن الهيج مولى يحيى بن خالد البرمكي ولم يزل سهل يخدم مسلما حتى خالط اسباب البرامكة واحضر ابنيه الفضل والحسن فاتصل الفضل بن سهل بالعباس بن الفضل بن يحيى بن خالد وخدمهما وعرفهما يحيى بن خالد وركن لهما ولابيهما وكان يحيى يحافظ على يسير الخدمة فنقل الفضل بن سهل ليحيى بن خالد كتابا من الفارسية الى العربية فاعجب بفهمه وحسن عبارته فقال له اني اراك ذكيا ستبلغ مبلغا رفيعا فاسلك سبيلا حتى اجد لك السبيل الى ادخالك في امورنا والاحسان اليك قال نعم ايها الوزير وانا اسلم على يديك بعد علمي باسلام مولاي فقال له خذ بيد هذا الفتى وامض به الى جعفر وقل له يدخل به الى المامون **وكان المامون** في حجر جعفر فقال له اذهب به حتى يسلم على يديه فادخله جعفر على المامون فاسلم بين يديه فوصله واحسن اليه واجرى له رزقا مع حشمه ولم يزل ملازما للفضل بن جعفر بن يحيى الى ان اصيب فلزم المامون **وذكر ان جعفر** بن يحيى لما عزم على استخدام الفضل بن سهل للمامون في حضرة يحيى بن خالد بحضرة الرشيد فقال له الرشيد اوصله الي فلما وصل اليه ادركته حيرة فسكت فنظر الرشيد الى يحيى نظر منكر لاختياره فقال الفضل بن سهل يا امير المومنين ان من اعدل الشواهد على فراهة المملوك ان تملك قلبه هيبة سيده فقال له الرشيد لئن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام لقد احسنت ولئن كان بديهة انه لاحسن واحسن ثم لم يسئله بعد ذلك عن شيء الا اجابه بما يصدق تفرس يحيى له **ولما شخص** الرشيد الى خراسان لانتقاضها برافع بن الليث بن نصر بن سيار خلف ولده الامين محمدا ببغداد وحمل معه محمد بن سليمان الكاتب يكتب له ويدبر اموره وعزم على تخليف المامون ايضا وان لا يشخصه معه فقال له الفضل بن سهل لا تقبل ان تستخلف وسله ان يشخصك معه فانه عليل وغير مامون ان حدث به حدث الموت ان يثب عليك اخوك محمد الامين فيخلعك وامه زبيدة واخواله بنو هاشم فسال المامون الرشيد اشخاصه معه

فابى عليه فقال له انى اريد ان اخدمك فى هذه العلة ولست اسئل منك حاجة ولا احملك
مونة فسار معه فقلده خراسان وجرجان وطبرستان والرى وما انضاف اليهما فقال له
الفضل بن سهل هذا اول عمل قلدته فاحسن الى الناس تحببوك وسر فيهم سيرة محمودة
تملك بها قلوبهم ففعل ذلك المامون وعدل واستفضل بعد ذلك عشرة الاف الف
درهم فحملها الى الرشيد فقال له هذا من جهتك احب الى من مائة الف دينار من غيرك
ولقب المامون الفضل بن سهل ذا الرياستين ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير
وعقد له اللواء على سنان ذى شعبتين واعطاه مع العقد علما قد كتب عليه لقبه
وذكر جماعة من اهل العلم انهم راوا سيفه وعلى احد وجهيه
رياسة الحرب وعلى الاخر رياسة التدبير وكان يامر مع الوزارة وهو اول وزير لقب
واول وزير اجتمع له اللقب والوزارة والتامير **وقال الفضل بن سهل**
قال لى المامون لما استخلف قد سميتك ذا الرياستين ثم قال لى ما يعجب الناس مما اتى منك
وقد قمت لى بالخلافة ووالله لقد كان هارون امير المومنين يصنع بسلام خادم
يحيى بن خالد اكثر مما اصنع بك ولقد رايتنى ومحمد اخى ونحن ولاة العهد
نمشى مع امير المومنين وسلام معه راكب يسايره **وذكر عيسى بن محمد**
انه راى توقيعا بخط المامون للفضل بن سهل نسخته اعتنيت بفضل بن سهل بمعاونتك
اياى على طاعة الله عز وجل واقامة سلطانى فرايت ان اعينك وسبقت الناس
من الحاضر الذى كان والغايب الذى كان عنى فاحببت ان اسبق لك بالكتاب
بخطى لما رايته لك على نفسى وانا اسال الله تمامه بحولى وقوتى ومقدرتى وقبضى
وبسطى به لا شريك له وقد اقطعتك السيب بارض العراق وعلى حيازة تسميم
مولى امير المومنين عطاء لك ولعقبك لما انت عليه من النزاهة عن اموال رعيتى
وما قمت فيه من حق الله تعالى وحقى فلم تاخذك فى لومة لايم ولم تراقب ذا سلطان
ولا غيره وقد جعلت لك مع ذلك مرتبة من يقول كل شيء يسمع منه لا تنقص منك
مرتبة اخر الزمن ما امرتك به من العمل لله عز وجل ولدينه والقيام بصلاح دولة
انت ولى بقيامها وجعلت ذلك كله لك بشهادة الله تعالى ذكره وجعلته
لك وكيلا على عهدى وكتبت بخطى سنة ست وتسعين ومائة **وكتب**

الى الناس

الى الناس ان من زكته صروف الدهر فخلص عليها كان موضعا لخيرة المختار ومن تقدم
له جميل البلاء وجزيل الغناء فحقيق بحسن المكافات والجزاء وان امير المومنين لما اختبر ذا الرياستين
ورضى منهاجه وطريقته وحمد علانيته وسريرته راه للخاصة اهلا وللثقة موضعا
وكان الفضل بن سهل سخيا نبيل النفس كثير الافضال يذهب مذاهب
البرامكة وفى ذلك كان عليك العقوبة اذا عاقب مقرا ما اذا انكر حسن الرجوع
اذا استعطف وكان مستقلا بما يحتاج اليه من حل عقده وربما انكر على بعض اصحابه
شيئا فاذا تقرب اليه بخدمة او بمناولة بشيء او ملازمة زال ما فى نفسه منه وله يقول
مسلم بن الوليد فى قصيدة طويلة منها هذه الابيات

الطوف كلا الى مرو بان بها ملكا عليه علا والعجز مقصور
الجود همته والخير بغيته فاصبح دولته عز وتامير
انى ادين بما دان الامام به مرغ والرياسة والا هو تخسير
ليس خلت الى مرو وما مكنتى لا شكر نجاران الخير مشكور
لا شكر وعلى سلام ماد بعث عنهم يدا لى ثناء فيه تحبير

وكان الفضل بن سهل يقول عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يمنع من دونه
ووقع الفضل الى خزيمة بن خازم الامور بتمامها والاعمال بخواتمها
والصنايع باستدامتها والى الغاية يجرى الجواد وهنالك كشفت الخبرة فسناء
الشكر محمد السابق وذم السالف وكان اذا اتاه ساع يسعى باحد عنده ذمه
وقال ابى بسر بن الصلت بعث الى الفضل بن سهل ذات ليلة يامرنى
بحضور الدار والمقام فيها الى وقت خروجه من عند المامون فحضرتها بعد صلاة
العتمة فاقمت بها الى ان خرج الفضل فى وقت السحر فلقيته وبين يديه خرايط
كثيرة فقال لى اصليت صلاة الليل قلت نعم فقال لكننى ما صليت فكرهتها
الى ان اصلى فصلى ثم انفتل من صلاته ثم دعانى فقال لى اتدرى ما هذه الخرايط
قلت لا قال هذه ثمان وستون خريطة وردت فى هذه الليلة وقراتها واجبت عنها فيها
بخطى فدعوت له بحسن المعونة والتوفيق **وكان يحيى** بن خالد
بن برمك جارية قد خصت به فى اخر ايامه ولطف موقعها منه وولدت له غلاما

فلما حبس البرامكة واخذ جميع ما يملكونه ساءت حال الجارية فكتبت الى يحيى وهو في السجن تعزيه في حالها وحال ولدها فشق ذلك عليه وبلغ منه وبعث اليهما ما اعرف احدا افزع اليه في امركما انت وولدك الا رجلا لا احاله في هذا الوقت ولم يكن للفضل بن سهل حال في ايام الرشيد وان صارت له حال وستعظم رجوت ان يبلغ بك وبولدك ما تحبين ثم كتب لها كتابا اليه وقال لها اذا بلغك ان لهذا الرجل حالا فوجهي بالكتاب اليه فلما توفي الرشيد وقام المامون بخراسان ورجع التدبير الى الفضل بن سهل وجهت الجارية بالكتاب مع رسول فاوصل اليهم فصار الى الفضل فقال رجل بالباب فقال ادخله علي فادخله عليه فساله عن خبر الجارية والغلام فعرفه اياه ثم امر بانزاله وحبسه اليه وقال لقهرمانه كم عندك من المال قال كان عندي عشرة الاف دينار فانفقنا منها ثلاثة الاف وبقي سبعة الاف فقال له احتل بتمامها ثم بعث بالكتاب الى اخيه الحسن بن سهل يقول له هذا خطاب علي يحيى بن خالد رحمه الله فاحمل الي كلما تهيا لك من المال فحمل اليه عشرة الاف دينار ثم جمع اولاده وجميع اسبابه فجمع منهم عشرة الاف دينار فدفع جميع ذلك الى الرسول وكتب الى الجارية معتذرا من تقصيره ووعدها ان يوجه لها بعد الثلاثين الف دينار بشيء اخر عند دخوله العراق فيبلغ ما يلزمه من حقها رحمه الله تعالى **وقال ابو علي** بن ابي سعيد قال لي ذو الرياستين وكنت حاجبه انك قد صرت حاجبي وتسمع مني السر والعلانية وربما ذكرت الرجل فاسات ذكره فلا يمنعك ذلك فيه ولا تتغير له بما سمعت مني فلعل ذلك غاية عقوبتي اياه وفي الفضل يقول عبد الله بن ايوب التيمي

لعمرك ما الاشراف في كل بلدة ❊ وان عظموا الا لفضل صنايع
ترى عظماء الناس للفضل خشعا ❊ اذا ما برا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة ❊ وكل عزيز عنده متواضع

واستولى الفضل على المامون وعارضه في شهواته حتى ضايقه في جارية اراد شراءها فتغير له المامون وشاع ذلك عند جماعة حاشية المامون فكتب اليه يحيى

بن معاذ

بن معاذ رقعة صغيرة يقول له فيها اغضض منه تنتفع به فقراها المامون وخرقها ورمى بها وكان المامون ينشد كثيرا لما تغير للفضل هذا البيت

وخطة خسف يجعل الموت دونها ❊ يقول لها الموت اهلا ومرحبا

وقال المامون يوما للفضل بن سهل اني اخاف عليك قوما يقتلونك فلا تركب الا في جيش وذلك بعد تغيره عليه فقال له الفضل ما اخاف غيرك فان امنتني لم يضرني احد **ودخل الفضل** على امه في الليلة التي قتل في صبيحتها فقعد الى جانبها وجعل يعظها واقبل يعزيها عن نفسه ويذكر حوادث الدهر وتقضي امور العباد ثم قبل صدرها وثديها وودعها وداع المفارق ثم قام فخرج وهو قلق منزعج لما دله عليه الحساب فجعل ينتقل من موضع الى موضع ومن مجلس الى مجلس وامتنع عنه النوم فلما كان في السحر قال الى الحمام وقدر ان يجعل همه وكربه وحرارته هو الذي دلت عليه النجوم فقدمت له بغلة فركبها وكان الحمام في اخر البستان فكبت به البغلة فسقط عنها فتشاءم بذلك وقدر انها النكبة التي يتخوفها ثم مشى الى الحمام ولم يركب حتى دخل اليه واغتسل فيه فقتل هنالك رحمة الله عليه **وكان** المتولي قتله غالب المسعودي الاسود وقسطنطين الرومي وفرج الديلمي وموفق الصقلبي فقتلوه وهو بوار ووقعت الصيحة فركب المامون حتى وقف بباب الحمام واخرج ذو الرياستين وبه عدة ضربات فنزل المامون عن دابته ووقع عليه يقبل وجهه ويبكي ومشى المامون من الحمام الى الدار على الاقدام ثم وقف عليه حتى غسل وكفنه بيده وحنطه وركب في بياض حتى صلى عليه وغلبته العبرة حتى ارتفع صوته بالبكاء وامر المامون بطلب الذين قتلوه وركب بنفسه وبذل لمن طلبهم عشرة الاف دينار فاتي بهم العباس بن الهيثم الدينوري فامر بضرب اعناقهم فقالوا ليس من الانصاف يا امير المومنين تامرنا بقتله ثم تقتلنا به فكف بهم وامر بقتلهم وضربت اعناقهم ثم التفت الى علي بن موسى فقال له اصبحت والله من الوحشة بعد ذي الرياستين رضي الله عنه كواحد في فلاة ان دهمه ليل خاف السبع او نهار خاف العدو

قف على قتل الفضل رحمة الله عليه

وهو فيما بينهما كان من الزائد وافنه وابن سبيل ثم جعل ينتحب ويترحم عليه فما زالت تلك حاله حتى نودي بالظهر ثم انفذ روس قتلة الفضل والمتهمين به الى الحسن اخيه وكتب اليه بالتعزية وانفذ اليه خاتمه ورد اليه جميع اموره وامر بانشاء الكتب عن خليفة ذي الرياستين فكانت الكتب تخرج الى العمال بذلك من غير ان يسمى احد وقصد المامون ام الفضل معزيا لها وحلف لها لما وصل اليها ان لا تقوم واطال الجلوس عندها وواصلت البكاء والنحيب فقال لها يا امة اقلي البكاء فانا عوض لك من ذي الرياستين فقالت يا امير المومنين وكيف لا ابكي على ابن ورثني ابنا مثلك وكان قتله في الحمام بسرخس بموضع يقال له الزوراز يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنين وثمانين وماية وهو ابن ستين سنة

وذكر محمد بن سعيد انه وجد على كتاب من كتب ذي الرياستين ما نسخته في الشهر الذي ينتقل فيه هذه السنة تكون النكبة المرجية التي نسل الله عز وجل ونرغب اليه في دفعها واقول عند هذا وقوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واتوكل على الله جل اسمه ولا اغلب عيني ارجح من حساب الفلك شيء ان الامر واقع لا محالة فنسال الله تعالى ان يثبت قلوبنا حتى تنقلب الى داره التي وعدها اولياءه على خير سبيل وان يختم لنا بالحسنى بمنه ورثته الشعراء فاكثرت وذكرته فاشبعت فقال دعبل بن علي يرثيه

مضى الفضل والافضال يكنف نعشه   وكل يد للمعتفين وجود
مضى كانف الايتام بالبر والتقى   ومن كان في الخيرات غير زهيد
اذلت له الايام كل ممنع   وارضت به الايام كل حسود
فاضحى قرا الموت عند حلوله   وقد كان يفري الموت كل عنود
عفت بهجة الدنيا واظلم نورها   واخلق بعد الفضل كل جديد
فقل للمنايا حيث شئت فيممي   من الناس اذ وكلتني بشهود
فلست ببلد بعده اثرها لك   ولا عن ملمات الرحى الحيود
ولا مطعما كهلا لاعظام اهله   ولا مرتج ما عشت فتى وليد

واقام اخوه الحسن بن سهل ببغداد يدبر الامور الى ان وصل

المامون

المامون من بغداد الى خراسان فاشتمل عليه الحسن وقرب من قلبه واوقع الصهر بينه وبينه على ابنته بوران واسمها خديجة وانحدر المامون الى فم الصلح للبناء ببوران في اخر شهر رمضان المعظم سنة عشر ومايتين فدخل بها في المدينة التي بناها الحسن بن سهل على دجلة مما يلي النيل ودخل محمد بن الحسن بابنة عمه الفضل بن سهل في شوال فاقام المامون بجميع من معه عند الحسن في منزل الحسن ووصل القواد واحتمل ما لم ير مثله جلالة وكثرة فجليت عليه من فرش لا يرى مثلها وفرش له حصير من ذهب وجيء بمكيال من ذهب مرصع بالجوهر والاحجار مملوء بها فنثر على تلك الحصير وكان ممن حضر من النساء امة العزيز زبيدة وحمدونة بنت الرشيد فلم تلقط واحدة منهن شيئا من ذلك الحب فقال المامون لمن حضر اكرمنها باخذكن فمدت كل واحدة منهن يدها فاخذت حبة وبقي الجوهر على ذلك الحصير يلوح فقال المامون قاتل الله الحسن بن هانئ كانه كان حاضرا حيث يقول

كان كبرى وصغرى من فواقعها   حصباء در على ارض من الذهب

قال ثم انصرف وخلف بوران عند امها الى ان تحمل اليه فكانت مدته في مسيره ومقامه ورجعته اربعين يوما **وذكر احمد** بن الحسن قال كانت سعة المامون الى فم الصلح مباركة ثم فيها رضاه على ابراهيم بن المهدي وقد كان ادخل عليه ببغداد الا ان الحسن بن سهل اوصله اليه لما تكامل سروره وتم عليه مائة الف حبة جوهر وفرش له حصير من ذهب ملء الموضع الذي كان واشعل بين يديه شمعة عنبر فيها مائة رطل ونثر للقواد رقاعا فيها اسماء ضياع فمن وقعت في يده رقعة بضيعة اشهد له الحسن بها فانفق الحسن في هذه الوليمة اربعة الاف الف دينار فلما اراد المامون ان يمضي امر له بالف الف دينار واقطعه الصلح وعاتبه على اجهاده وحمله على نفسه فقال له الحسن يا امير المومنين انظر هذا من مال سهل والله ما هو الا من مالك رد اليك ووضع المامون من خالص العنبر فعملت له مثلا من الشمع فكان الليل مدة مقامه منها كالنهار في فضله وما قاربه **وذكر الحسن** بن روح قال قدم علينا على

بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمامون امير المومنين هنالك بافيا على بوران بنت
الحسن بن سهل وهو اذ ذاك يجري على نيف وسبعين الف ملاح وكان الحسن بن سهل
يسهر مع المامون حتى يتصبح فيجلس الحسن للناس الى وقت انتباهه فلما ورد علي
بن جبلة قلت قد ترى شغل الامير قال اذن لا اضيع معك قلت اجل فدخلت على
الحسن بن سهل في وقت ظهوره فاعلمته بمكانه فقال الا ترى ما نحن فيه قلت لست
بمشغول عن الامر له فقال يعطى عشرة الاف الى ان نفرغ له فاعلمت ذلك علي
ابن جبلة فقال في كلمة له

اعطيتني يا ولي الحق مبتدئا   عطية كافأت مدحي ولم ترني
ما شمت برقك حتى نلت ريقه   كانما كنت بالجدوى تبادرني

وكانت غلة الحسن بن سهل في كل سنة ثلاثة عشر الف الف ينفق
منها ستة الاف الف ويفضل سايرها وكانت ارزاقه من المامون في كل شهر
سبعين الف درهم ومعونته في كل سنة عشرة الاف دينار وتلك السنة وعليه
دين **واعتمد** المامون في وزارته على ابي الفضل عمرو بن مسعدة
وكان احد كتابه وله مكانة منه ومنزلة عنده فامر المامون الكتاب ان
يعملوا لعمرو بن مسعدة عملا بما يلزمه من المال في اعمال السواد التي كان يتقلدها
فعملوا له عملا بثمانية وعشرين الف الف درهم فامرهم المامون باعادة
النظر فيه واسقاط كل ما فيه من تاويل وحجة ويقع قوله على ما لا يدفعه ولا
يحتج الى ابطال شيء منه فوقف العمل على اثنين وعشرين الف الف درهم لم يكن له
في دارهم منها شبهة فضلا عن حجة فدعا به المامون وقال له ما تقول في هذا
المال فقال صحيح وعندي منه ثمانية عشر الف الف درهم وتحرمت مونتي منه
اربعة الاف الف درهم فقال له المامون ليحمل اليك من بيت المال اربعة الاف الف درهم
مكان ما تحرمته بنفقتك ومونتك وبارك الله لك في الجميع جزاء على صدقك
قال عمرو ابن مسعدة فحمل الي المال قال وكنت باحضار منزلة عنده ثم تنبهت
على اعلى منه لكني لم ادر سببه فتوصلت الى معرفته فلم اقدر على ذلك
فقلت له يا امير المومنين تفضلت علي بافضل نعمة واحسنت الي فوق كل احسان

وصحت

وصحت لي عن المال الجليل الذي لم يصح احد عن مثله وارى انك قد اعرضت
عني اعراضا لا ادري سببه وقد اقلقني ذلك واقعدني قال فقال لي يا عمرو انا لم
نحسن اليكم لنتخذ مونا بغير ما نحبه وانا لنعلم ان لكم نعما واحوالا فلو كنتم
تظهرون نعمكم في منازلكم كان ذلك اشبه بكم ما معنى دخولك
علي وعليك قباء وشي فوقه قباء ملحم كانك لا اعلم انك تقدر على ذلك
ولا على ما هو اكثر منه فقلت لست اعود يا امير المومنين الى شيء انكرته ابدا
قال فلم يلبس عمرو بعد ذلك الا قباء باكثر من اربعة دنانير او خمسة وسلم
من عتب المامون وكانت وفاة عمرو بن مسعدة باذنة وهو في عسكر
المامون في شهر ربيع الاخر سنة خمس عشرة ومايتين **وكانت**
خلافة المامون احدى وعشرين سنة منها اربعة عشر شهرا كان يحارب فيها
اخاه محمد الامين وقيل سنتان وخمسة اشهر وكان اهل خراسان في تلك الحروب
يسلمون عليه بالخلافة ويدعون له على المنابر في الامصار والحرمين والكور
والسهل والجبل مما حواه له طاهر بن الحسين وغلب عليه ويسلم على محمد
الامين بالخلافة من كان ببغداد وتوفي بالبذندون المعروف على عين العشيرة
التي يخرج منها هذا النهر المعروف بالبذندون حين انصرف من غزاته
وحمل الى طرسوس ودفن بها عن يسار المسجد وذلك يوم الخميس لسبع
عشرة ليلة مضت من رجب سنة ثماني عشرة ومايتين وهو ابن تسع واربعين سنة
وقيل ابن ثمان واربعين رحمة الله عليه امين

ذكر المعتصم الى شبل

هو محمد بن هارون الرشيد يكنى ابا اسحاق ولقبه المعتصم بالله امه ام ولد
تسمى ماردة بنت شبيب وكانت احظى الناس عند الرشيد كان اذا لم يصل
اليها يوما وجه اليها الف دينار مكان ذلك فولدت المعتصم بالخلد ببغداد
بويع يوم توفي اخوه المامون بالبذندون وهو ابن ثمان
وثلاثين سنة وشهرين وجرى بينه وبين العباس بن المامون حين تنازع في المجلس

ثم انفاذ العباس الى بيعته وذلك ان المامون لما دفن اجتمع المعتصم والعباس بن
المامون فقال المعتصم للعباس اتعلم يا ابا الفضل ان امير المومنين كتب لاهل الثغور.
امانا وانه كتب فيه هذا الامر من عبد الله الامام امير المومنين واخيه ابي اسحاق وانه
كتب اليك يامرك ان تكون مكاتبتك اياي بالتامير وكتب بذلك الحسن بن سهل
والى عبد الله بن طاهر وكتب الي يعلمني بما امر به غيرك وهذا كتابه الي بذلك
وفيه **اما بعد** فان الله قد جعل محلك من امير المومنين وموقعك
منه بما وهبك من التقدم في المعاونة على طاعته وابتذال النفس والمال بما فيه اعزاز
دين الله وطاعة خليفته واقامة دولة الحق ودفع اهل الزيغ والباطل مجتهدا
غير وان ومشمرا غير مقصر وناهضا عند كل حادثة غير مبطئ ومناصحا
غير خاذل المحل الذي اوجب رفع منزلتك واكبار جلالتك وتقدمك وتعريف
الخاصة والعامة موضعك وقد تامل امير المومنين كتبت من يكاتبك
ممن هو دونك من ايثار التواضع والتوقف الكثير والتزحي للانصاف والمقاربة لمن
اوجبت له الحق بطاعته لامير المومنين وتقدمه نصرة حقه وكره هذه الارتفاع
عليهم تكاتبهم بمكاتبة تجاوز بها مقدار البر الى الافراط ومقدار الانصاف
الى الاعلى او فيكاتبونك بمثل ما تكاتبهم به فاراد امير المومنين ان يجعل
لك حدا تقتصر بنفسك عليه وتقضي به حق ابي محمد الحسين بن امير المومنين
الى العباس بن امير المومنين والى ابي محمد الحسن بن سهل وعبد الله بن طاهر مولى
امير المومنين فامرهم بمكاتبتهم بالتامير لك ونهاهم عن مخالفة ذلك
فيما يوردون عليك من كتبهم فاعلم ذلك من راي امير المومنين
ولتكن مكاتبتك للعباس بن امير المومنين وابي محمد الحسن وعبد الله بن
طاهر فمرهم ونهم على حسب ما اعلمك به امير المومنين وحرر ان شاء الله والسلام
فقال العباس نعم قد كتب الي امير المومنين بذلك فسار على عجيف وعلى عنبسة
بن اسحاق وهو ثمة بن النضر ورشيدا اغتاظ له بذلك اذ كان املهم ان يلي
هو الخلافة فلما اغتاظ به قال له يا ابا الفضل فلولا ان امير المومنين جعلني ولي
عهده لما امرك ان تكون مكاتبتك اياي بالتامير وكنت انا تاميري لو كنت •

ولي عهدا واراد ذلك فيك ولكن لك علي عهد الله وميثاقه ان نخلعك ولي
عهدي وان اقر الاعمال التي في يدك على حالها وازيد في اقطاعك واعمالك
ولا اخالف شيئا تريده وتهواه وكان اشناس وخاقان وايتاخ واصحابهم مع
المعتصم وقد اخذوا عدتهم فبايع له العباس وعجيف وساير من كان معه
من القواد الكبار وكان جمهور القواد والاجناد ينتظرون خروج العباس
ليبايعوه فخرج الخبر اليهم انه قد بايع لابي اسحاق فصاح الجند وضجوا وقالوا
لا نرضى الا بالعباس بن المامون فقال له ابو اسحاق جعلني الله فداك اخرج الى الناس
فاعلمهم انك قد بايعت على محبتك وهواك فخرج اليهم فقال لهم ما هذا
الخطب البارد قد بايعت عمي وسلمت الامر اليه قال فافترقوا ونفذت الكتب
بالبيعة الى الامصار والى عبد الله بن طاهر فبايع له ابن طاهر وجميع من تحت
حكمه وكتب جوابه الى ابي اسحاق لعبد الله ابي اسحاق الامام المعتصم بالله امير
المومنين فلقبه المعتصم وقيل ان الذي لقبه المعتصم القاضي احمد بن ابي داود
وكان المعتصم خايفا من مخالفة ابن طاهر فلما وردت بيعته سكنت
نفسه وقدم المعتصم بغداد مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومايتين
ونزل بالرصافة وابن ابي داود يسايره فيها والمعتصم في اهل بيته ثلاثين الف درهم
فانشده احد الشعراء قصيدة منها

عينان واحدة نوراء مسرورة • بامامها جذلا واخرى تذرف •

مذكورة في عينه هزل فامر له بجايزة **وكان المعتصم** ابيض مشوبا
بحمرة اصهب مربوعا حسن الجسم والعينين طويل اللحية شديد البدن يحمل
الف رطل ويمشي بها خطوات وكان شجاعا وزيره وكاتبه الفضل بن مروان
وحاجبه محمد بن حماد وقاضيه احمد بن ابي داود الايادي ومن
غلب عليه وصاحب جيوشه الافشين التركي وصاحب حرسه وصيف التركي
مولاه وصاحب شرطته اسحاق بن ابراهيم **نقش خاتمه**
اعتصمت بالله ونقش طابعه سل الله يعطيك وقد قيل اذا نصر الهوى
بطل الراي وكان ذا باس وبسالة وشهامة وجزالة عادلا في احكامه مطعا

في ايامه لم يشرب النبيذ لكنه كان يجلس مستترا لسماع الغنا وكان يحب عمارة الارض وتشييد البناء ويقول ان فيها امورا محمودة منها عمارة الارض التي تحيا بها العالم ويزكو الخراج وتكثر الاموال وتعيش البهائم وترخص الاسعار وتكثر الكسب ويتسع المعاش **وكان يقول** لوزيره محمد بن عبد الملك الزيات اذا وجدت موضعا متى انفقت فيه عشرة دراهم ارتفع فيه بعد سنة احدى عشر درهما فلا تستشرني فيه وكان ارتحل من بغداد فاتخذ سر من راى قاعدة **وكانت له فتوحات** جليلة عظيمة الغنا على الاسلام منها قتل بابك الخرمي وكان معلنا لدين المجوسية واشتد سلطانه ببلاد الران والبيلقان وكثر عيثه في تلك الديار وجالت جيوشه في تلك الامصار وبقي نحو العشرين سنة يهزم الجيوش السلطانية ويضع سيفه في الاسلام ومنها قتل المازيار المجوسي صاحب جبل طبرستان وكان معلنا لدين المجوسية ومنها قتل العجم له بالجبل وقد قاموا ايضا بدين المجوسية وفتح عمورية وهو اخر خليفة غزا ارض الكفر بنفسه وكان اميا لا يقرا ولا يكتب لانه كان في المكتب يقرا وهو صغير فمات له غلام صغير كان يقرا معه فجزاه فيه ابوه هارون الرشيد فقال له والله لقد استراح من المكتب ليتني كنت عوضا منه فقال له ابوه الى هذا بلغ بك بغض المكتب والله لا ادخلته ابدا فخرج اميا فوصله يوما كتاب احد عماله يقول فيه مطرنا مطرا كثيرا كثير اكثر منه الكلا فقال لكاتبه الفضل بن مروان ما الكلا فقال لا ادري وكان الفضل هذا عاميا فقال ما شاء الله كان خليفة امي وكاتب امي

على بكاتب لبق رشيق ❊ ذكي في شمائله حرارة
تناجيه بلحظ من بعيد ❊ فيعلم ما بنفسك بلا اشارة

وقال انظروا من بالباب فاذا خلوه فخرجوا فوجدوا محمد بن عبد الملك الزيات فادخل عليه وكان من اهل الادب البارع والذهن الثاقب والفهم الرايع فساله عن الكلا ما هو فجعل يصف له النبات من اوله واول اقباله الى اخر استكماله فاعجب به واستكتبه والكلا مهموز مقصور الحشيش اليابس والكلا العشب رطبا كان او يابسا والرطب منه يقال له الخلا مقصور والحشيش هو اليابس يقال ارض مكلية

فـ على معرفة هذا الكاتب باللغة

وكلئة

وكلئة ومكلاة اي كثيرة الكلا يقول شهر ثرا بالثاء المثلثة وهو اول ما يكون المطر فيبتل منه الارض ثم يتطلع منه النبات فيقول الاول النبت الطالع فاذا طال بقدر ما يمكن النعم ان ترعاه فهو المرعى فاذا حسن نباته قيل قد اكتهل فاذا اخرج زهره قيل قد جن جنونا وقد اخذ زخاريه كما قال ابن مقبل في شعره حيث يقول

زخاري النبات كان فيه ❊ جياد العبقرية والقطوع

فاذا غطا الارض كثرة قيل قد استحلس فاذا بلغ والتف قيل قد استاسد فاذا صار بعضه اطول من بعض قيل تناثل النبات فاذا طال قيل قد طفى تطفيرا فاذا تهيا لليبس قيل قد اقطار فاذا يبس وانشو قيل قد تصوح فاذا تم يبسه قيل قد هاجت الارض تهيج هيجا فان كان من احرار البقول وذكورها قيل لما يبس منه اليبيس والجفيف والقف وما كان من البهما خاصة فان شوكها هو السفا ويبيسها العرب والسعار فاذا انكسر اليبيس فهو حطام ويقال له الهشيم ايضا وقال ابن احمر الشاعر في المعنى

تبلغ اوضاحا بسرة يزبل ❊ وترعى هشيما من مليحة باليا

فاذا ركب بعضه بعضا فهو الثن كما قال الراجز

ان يمنعني الناعور لا يجني ❊ يكفي الثور اكلة من ثني

فاذا اسود من القدم فهو الدندن قال الشاعر

المال يغشى رجالا لا صناع لهم ❊ كالسيل يركب اصل الدندن البالي

وكل حطام شجرا وحمضا واحرار البقول وذكورها فهو الدرين اذا قدم كما قال عمرو بن كلثوم

ونحو الحابسون بذي اراطا ❊ تسف الجلة الخور الدرينا

يقول تسف الدرين لا تجد ما تاكله فاذا يبس الكلا ثم اصابه مطر قبل الصيف فاخضر فهو النشر فاذا اصابته الماشية اصابها منه داء يقال له السهام وهو ان تسلخ الابل والغنم عنه حتى تموت والخلفة ما نبت في الصيف واللوى ما يبس منه ومع ان المعتصم كان اميا على ما وصف به نفسه كان اذا تكلم يبلغ ما اراد وورد عليه كتاب ملك الروم يتهدده فيه فامر بمراجعته فلما قرا عليه لم يرضه فقال للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد

فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر
لمن عقبى الدار وصرف رسوله به وامر في الحين بالغزو اليه فوطئ بلاده اشد وطأة فاسر
وسبا وقتل وحرق ومزق **قال** لي ابن ابي داوود يوما هل تعلم من الخلفاء
من تهيأ له من الغزو والظفر والقهر للملوك بحسن التدبير واللطف في السياسة ما تهيأ
للمعتصم قلت كيف ذلك قال ان الملوك انقادت له سامعة مطيعة بغير حرب
ولا نفاق منهم الشين ملك تاميار والخشين ملك الصغد وابن ذايمور ووصول
ارتكين الى غانى ملك الركش اسلم على يديه وكسر صنمه بين يديه وصاحب
الشاش وملك كابل شاه اسلم على يديه فتوجه وافرد مملكته ونجار خداه
ملك بخارى فما منهم رجل من هؤلاء الملوك الا انقاد له واذعن اليه فملكه
وعفز له وظفر ببابك ملك اذربيجان بعد محاربته لاصحاب المامون وطول غشه
فحمله اليه اسيرا حقيرا وسفك الله دمه على يديه ولم يرغب في امواله وذخائره
وظفر بالمازيار ملك طبرستان وقد اشتد عتوه وتمرده فسفك دمه ولم يلتفت
الى ماله حين سوغه له وظفر بفاطس صاحب عمورية وكان اجل رجل للروم
واشدهم عتوا فسفك الله دمه على يديه وقد بذل ملك الروم الاموال الجليلة
فيه وان يحمل جميع اسارى المسلمين ولا يغزو هو ولا احد من اهل مملكته
بلاد الاسلام ثلاث سنين فابى قتله واراح عن الاسلام ثقله **وملك** افشين
على اسروسنه وجعل لابنه مملكة في غانة ورفع منزلته وصير الملوك وابناءهم
تحت يده فما شكر النعمة ولا كافأ على الاحسان فبطر وبغى ودبر ان يثب على
الملك وطغى فكشف الله ستره وصرعه شر مصرع فاي خليفة ظفر مثل هذا
الظفر ونصر على جميع الملوك وانقادت له هذه الانقياد وخرجت من دار
عزها حتى صارت الى بابه وماشته تحت ركابه **وكان** ابن ابي داوود يقول
كان المعتصم خليفة يجب له هذا الاسم بالحقيقة من كل الجهات ما رايت ملكا
كان اجمع لكل فضيلة في الخلافة حتى اخذ بقسطه منها ولا اوصل للرحم
ولا اعطف على قرابته ولا اعفى عن مسيء ولا اشد تفقدا للصاحب وخادم ولا ارق
قلبا على ذي حاجة ولا اوفى بقول ولا اصدق لهجة ولا اجود بمال ولا اكظم لغيظ

ولا اجرى

ولا اجرى قلبا في الحرب ولا اشد بدنا ولا اصبر عند ملاقاة عدوه ولا احسن سياسة
ولا اعلم بتدبير الحرب والملك ولقد كنت عنده يوما فرايته متغيظا وقد دعا
بعمر بن فرج وتناوله بالشتيمة فلما جاءه قال له يا ابن اللخناء متى امرتك ان تجعل
اصحاب اخبار على الطالبين وتجسس عليهم قال يا امير المومنين بلغني ان رجالا
منهم يكاتبهم اهل قم واهل خراسان واهل ارمينية فاردت ان اعرف حقيقة ذلك
فانهيه الى امير المومنين فقال له وما عليك منهم دعهم فوالله لاحملن عنهم
ولاغتفرن ذنوبهم ولاصلن ارحامهم ولاستعطفن على كبيرهم وصغيرهم
فان ارادوا بي سوءا كان الله بيني وبينهم قال ولقد دخلت عليه يوما فقلت
يا امير المومنين اهلك والله وادنى لحمتك من ال ابي طالب في ضر شديد بالمدينة
نالتهم سنة شديدة وتاخرت عنهم ارزاقهم فدعا بعمر بن فرج وقال له الم
امرك ان تحمل الى المدينة لال ابي طالب مائتي الف دينار قال اخر التوقيع بها
الى محمد بن عبد الملك فدعا به فقال له والله لئن لم تحمل هذا المال في [illegible]
لانهلكنك عقوبة فحمله اليهم من الغد وقال ايضا حضرت المعتصم
مرات فكان يسال ويبحث عن احوال اصحابه وخاصته فمن بلغه عنه اتساع سر
بذلك وزاده ومن بلغه عنه تقشف حال لم يكن له حال الا اصلاح حاله وكان
ان عثر له ان اشتهى طعاما او تجددت له حال يسر بها او راى ثوبا يسر بها
او سار الى موضع وانصرف سالما او كان صائما فافطر او مغموما ففرج الله
عنه اخرج مالا فتصدق به واذا اخرج مالا لم يوخر تفرقته وكان اشد الناس حياء
وارقهم قلبا ولقد رايته بعمورية وانه لواقف والجرحى تاتيه من كل موضع حتى
ناله بعضها فما زال ولا تزحزح فقلت يا امير المومنين ناشدتك الله لما تنحيت
فقال والله ما موضع يأتيني فيه الموت احب الي من هذا الموضع **وروي عن**
جعفر بن محمد بن جمهور قال دخلت على المعتصم فقال لاقتلنك فقلت
وكيف تقتلني وقد حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن انس بن مالك ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها قال فامتنع عني ورجع وفي سنة

ثلاث وعشرين ومائتين أصبح المعتصم في أحد الأيام كسلان خبيث النفس فأحضر الأطباء وسألهم عن ذلك فقالوا ذلك من مرار أسود غلبك ثم أحضر من ينظر في النجوم فقالوا هذا حادث حدث فلما كان ظهر ذلك اليوم ورد البريد وعليه ثوب مصبوغ مطبح بالدم فأخبره أن توفيل ملك الروم خرج في عسكر لا يحصى ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم ونزل على مدينة زبطرة من الثغر الجزري فقلبها بالسيف وقتل الصغير والكبير وسبا وأغار على بلاد ملطية ففزع الناس في الأمصار واستغاثوا بالله في المساجد والديار قال فبكى المعتصم بكاء شديدا حتى علا بكاؤه فدخل عليه إبراهيم المهدي فأنشده قصيدة طويلة يذكر فيها غلبة زبطرة ويحضه على الانتصار ويحثه على الجهاد وذلك من أبيات إبراهيم بن المهدي بديهة يقول في بعضها

يا غيرة الله قد عاينت فانتقمي … هتك النساء وما منهن يرتكب
هب الرجال على أجرامها قتلت … ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

قف على بعض الغزوة المعتصم

وإبراهيم هذا أول من قال يا غيرة الله قال فخرج المعتصم من حينه لابسا قميصا قصيرا من صوف معهما تعمم الغزاة متقلدا سيفا وقدم له فرس أدهم يقال له العقاب عليه سرج بقربي يمسك خلفه درعا واعتقل رمحا وركب وهو يبكي وأمر بالهتف والنفير والجهاد وأمر أن لا يطبخ في فصول طبيخ وحلف بالله والبراءة من رحمته ومن رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يقرب النساء ولا الطيب حتى ينصر الله الإسلام ويجدد دين محمد عليه السلام ويهلك دون ذلك فعسكر بغربي دجلة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى من العام المذكور ونصبت الألوية والرايات على الجسر فانثالت عليه العساكر من جميع الأمصار ووردت المطوعة من سائر الأقطار فكان أحب الناس إليه وأجلهم عليه من ذكر بغية له وحث الناس وحرضهم على الجهاد ولقد قال رجل شعرا يذكر فيه فتح زبطرة وتغلب العدو عليها ويحض المسلمين على الجهاد فأمر المعتصم بكتبه وإنشاده بين الناس

وهي

خل

خل عينيك تنسكب … وابك ما عشت وانتحب
لأسارى عند العدا … عاريات بلا سلب
لا يصلون جهرة … رمضانا ولا رجب
لو تراهن تجتمعن … ويأخذن في النحب
غاب عنها محمد … فإذا الدين قد ذهب
يرحم الله ذا فرا … شمر الذيل وانتدب

فبكى المعتصم بأعلى صوته وقال لا نصرني الله إن لم أبذل جهدي في نصرتهم وأغضب لله ولهم وكان قائل هذا الشعر ضعيف الحال فأمر له المعتصم بألف دينار ثم أقلع من هنالك وقد تكاملت جنوده وتكفلت بنصره سعوده وجعل على مقدمته أشناس التركي ويتلوه محمد بن إبراهيم وعلى ميمنته إيتاخ التركي وعلى ميسرته جعفر بن دينار الخياط وعلى ساقته بغا الكبير ويتلوه دينار بن عبد الله وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل الأفشين من درب الحدث ودخل الناس من سائر الدروب إذ لم يحصرهم عدد فمن مكثر ومن مقل فالمكثر يقول خمسمائة ألف والمقل يقول مائة ألف وقتل أكثر بطارقته ووجوه رجاله ولو جرى أثر الملك قتله أو أسره لكنه قال إن الملوك يجب أن يبقى عليها ونازل المعتصم زبطرة ففتحها الله وما زال ثوبا عن جسده حتى استأصلها وقتل جميع من بها ثم نازل عمورية ففتحها الله على يديه وخرج منها لاوي البطريق

قف على بعض الفتح ولله الحمد والمنة

وأسلمها له وصيرها في يديه وأسر فيها البطريق الكبير ناطس الذي تقدم ذكره وكيف كان أمره وقتل فيها ثلاثين ألفا وأقام عليها بعد ذلك أربعة أيام في هدمها وحرقها ثم رحل عنها يريد المسير إلى قسطنطينية العظمى فبلغه أن العباس بن المأمون بايعه خلق كثير وأنه كاتب ملك الروم ليمده فانثنى المعتصم راجعا وقبض على العباس ومتبعيه **وروي** عن دعبل أنه قال دخلت على المعتصم فقال يا عدو الله أنت الذي تقول في بني العباس أنهم في الكتب سبعة وأمر بضرب عنقي وما كان في المجلس إلا من كان عدوا لي وأشدهم علي ابن شكله فقام فلما فقال يا أمير المؤمنين أنا الذي قلت هذا ونسبته إلى دعبل فقال له وما أردت بهذا